كمال مجيد

نواقص الماركسية المعاصرة
واسباب عدم تطورها

Woodtock Publishing



و

دار الحكمة
لندن

كمال مجيد

نواقص الماركسية المعاصرة
واسباب عدم تطورها

Woodtock Publishing
و
دار الحكمة
لندن



نواقص الماركسية المعاصرة واسباب عدم تطورها

كمال مجيد

B.Sc., Ph.D., D.Sc., C.Eng., F.I.C.E., F.I.Struct.E.

پروفسور الهندسة في جامعة كارديف ببريطانيا

Woodstock Publishing

دار الحكمة

لندن

الطبعة الثانية

سنة ٢٠٠٠

Wodstock Publishing, Flat 2, Ground Floor 20,
Lindfield Gardens, London NW3 6PS Tel: 0207 435 0195
&

DAR AL-HIKMA
Publishing and Distribution



88Chalton Street, London NW1 IHJ Tel :0207-3834037 Fax : 0207 -383 0116

مقدمة الطبعة الثانية

مرت ١٧ سنة على صدور مقالة «نواقص الماركسية المعاصرة واسباب عدم تطورها» وذلك في مجلة الغد اللندنية، العدد ١٥ - ١٧، تموز - كانون الاول ١٩٨٣. ومنذ ذلك الحين طالبني عدد كبير من المهتمين بالماركسية باعادة نشر المادة بل تطويرها لكي تشمل المرحلة التي تلت سقوط الاتحاد السوفياتي والحكومات الدائرة في فلكه والقائمة في اوروبا الشرقية. لقد جاء هذا السقوط كنتيجة مباشرة وحتمية لتوقف الماركسية عن التطور بل لقيام دعاة الماركسية بتحريفها ثم محاربتها بغية القضاء عليها لتحل محلها النظريات الرأسمالية مثل "العولمة" و "الديمقراطية الحديثة" لافساح المجال لترعرع الرأسمالية الامريكية وفرض جبروتها على العالم قاطبة.

لقد كتبت المقالة في مطلع الثمانينات من القرن الماضي وكنت اقصد بكلمة « *المعاصرة* » تلك الفترة التي تلت المؤتمر العشرين للحزب السوفياتي سنة ١٩٥٦، ذلك المؤتمر الذي انتج انشقاق الحركة الشيوعية العالمية القائمة حينذاك ثم ركودها وتقهقرها، ايام برجنيف، ومن ثم انهيارها على يد غورباچيف وشفردنازة مع المساندة الكلية للاحزاب الشيوعية (اقرأ التحريفية) التي كانت تسير في ركاب الحزب السوفياتي، بما في ذلك ، بل بصورة خاصة، الحزب "الشيوعي" العراقي،

لقد امتازت هذه الفترة بظاهرة سميت في حينها ب«التعايش السلمي» بين الدولتين العظميين (الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) وبالوفاق الدولي الذي ساد نتيجة لاتفاق حكومة برجنيف السوفياتية مع حكومة نيكسون الامريكية على حل الخلافات القائمة بين البلدين بصورة "سلمية" بحجة افساح المجال للمنافسة "السلمية" بين الاشتراكية والرأسمالية في السباق نحو السيطرة على العالم، دون الاخلال بالسلام العالمي ! مما حث الاحزاب الشيوعية العالمية على التركيز على التطور السلمي نحو الاشتراكية بدل الثورة المسلحة.

لقد انعكست هذه السياسة على نمط الحكم في بلدان العالم الثالث كالعراق، مثلاً، حيث تبنت الاحزاب "الشيوعية" في هذه البلدان سياسة «الطريق اللارأسمالي» والتي امتازت بمحاولة هذه الاحزاب على العمل مع الحكومات الرجعية القائمة وحثها على التعاون الاقتصادي فالسياسي مع الكتلة السوفياتية.

لقد دفعت هذه السياسة البرجنيفية الاحزاب الشيوعية في ما يسمى بالعالم الثالث الى الدخول في جبهات موحدة مع الحكومات غير الاشتراكية بغية تثبيت الاحزاب البورجوازية بل وحتى الفاشية او العشائرية، في الحكم مما فسح المجال للرجعية المحلية في هذه البلدان بفرض جبروتها على شعوبها المقهورة ومن ثم الهجوم على الاحزاب الشيوعية "الحليفة" وتحطيمها، كما حدث في اندنوسيا وشيلي والجزائر

والعراق والسودان.

اذن هناك حاجة الى تطوير المقالة لتشمل فترة انهيار الاتحاد السوڤياتي وطغيان المستعمرين على العالم. وسأقوم بذلك عن طريق اضافة قسم جديد حول النتائج التي تلت عدم تطور الماركسية في عهد خروشوف وبرجنيف والتي انتهت بسقوط المعسكر الاشتراكي وزوال الاتحاد السوڤياتي. كما سأشرح بعض النتائج التي اثرت بصورة سلبية ومؤذية على البلدان المقهورة من قبل المستعمرين بصورة عامة والعراق خصيصاً.

اتمنى ان القارئ الكريم يتفق معي على ان مرور ١٧ سنة على المقالة يجعلها بحاجة الى بعض الاضافات والتعديلات. وسأقوم بذلك دون المس بالمقالة الاصلية بل بحصر هذه الاضافات بين قوسين معقوفين {هكذا} لتمييزها عن المقالة الاصلية التي مازالت تحتفظ، حسب اعتقادي، على اهميتها، وكلي امل بان هذه الاضافات ستزيد من فائدة المقالة.

بهذه المناسبة من الضروري تقديم جزيل شكري الى الاخوان حسقيل قوجمان وكمال محمود فرج ومحمد احمد الذين شجعوني وصرفوا جزءاً من وقتهم في قراءة الكتاب وتصحيح لغته وتقديم الاقتراحات القيمة لاظهار الكتاب بهذا الشكل الذي اتمنى أنه سيفيد القارئ الكريم.

كمال مجيد

آب (اغسطس) ٢٠٠٠م.



الفصل الاول

نواقص الماركسية المعاصرة واسباب عدم تطورها

مقدمة

نشرت مجلة الغد في عددها الرابع عشر مقالاً قيماً لماجد رحيم تحت عنوان (ملاحظات حول كتاب "فلسفتنا") للشهيد محمد باقر الصدر. وقد اجاد ماجد في مناقشته للمرحوم الصدر واثبت فهمه للماركسية. لكنه لم يفلح في مهمتين ولم يحاول ان يفلح: فهو لم يأت بشئ جديد لم يذكره الماركسيون قبله. في حين انه استنجد بماركس للقول بأن المهم هو ليس فقط فهم الاشياء بل تبديلها فيقول، كما قال ماركس بأن الواجب هو "المساهمة المباشرة في تغيير العالم وليس فقط فهمه وتفسيره". وثانياً لم يفلح ماجد في تطوير الماركسية نفسها في حين اتفق مع الصدر بأن "الماركسية لا ترى في المادية الجدلية قمة ابدية لكل ما سيتوصل اليه الفكر الانساني فهي ايضاً قابلة للتطوير والتغيير وحتى النقض".

{يهذا الخصوص يقول المجلس: «بالنسبة للفلسفة الدياليكتيكية ليس هناك شئ نهائي، مطلق ومقدس.انها تكشف الطبيعة الانتقالية لكل

شئ وفي كل شئ...» (راجع ١ لينين، حول كارل ماركس، نبذة لحياته وشرح تمهيدي للماركسية، دار الطبع للغات الاجنبية، پكين، ١٩٦٧، بالانگليزية، الصفحة١١).}

وبدلاً من لوم الاخ ماجد فانني اود ان اتذكر مرور مائة عام على وفاة ماركس لاركزعلى نقطتين جديدتين: **الاولى** تخص نواقص الماركسية ولاسيما في يومنا هذا. اذ كانت النواقص ايام ماركس ولينين حتمية لأن المادية الجدلية، كما يدافع عنها ماركس ولينين، هي امتداد للعلوم الطبيعية وانعكاس للطبيعة في العقل البشري.

{كما هو الحال ، حسب الماركسية، مع كافة الآراء والافكار والنظريات الاخرى، ففي نقده لهيغل يقول ماركس: «بالنسبة لي، على عكس هيغل، ان الفكرة ليس بشئ سوى نتاج انعكاس العالم المادي بواسطة العقل البشري، انها ترجمة دماغية له.» (راجع ١، نفس المصدر، الصفحة ٨، نقلاً عن كتاب الرأس المال ، الجزء الاول لماركس.) وفي شرحه لكون العالم عبارة عن سلسلة من العمليات المعقدة يقول انجلس (١٨٢٠ - ١٨٩٥م)«وان الفلسفة الدياليكتيكية هي مجرد انعكاس لهذه العمليات في العقل البشري، لا غيرها» نفس المصدر ١، الصفحة ١٢.ومنذ الآن نستطيع ان نستنتج بأن الدياليكتيك، بل وكل النظريات الفلسفية سيتبدل مع التغيرات المادية المستمرة في العالم. لقد ايقن ماركس وانجلس اهمية تأثير التطورات العلمية على الفلسفة المادية

فـيـقـول لينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤): « لقـد ادرك مـاركس وانجلس النواقص في الفلسـفـة المادية القديمة، بما في ذلك مـادية فـيـورباخ ... لكونهـا: " ١ - كـانت هذه المادية مصابة بالميكانيكية بصورة طاغيـة،" وفشلت ***في ادخال التطورات الحديثة في الكيميا ء والبايولوجيا*** فـي الاعـتـبـار» ثم يضـيف لينين: «وفي يومنا هذا من الضـروري ان نضـيف النظرية الكهربائية للمادة.» (نفس المصدر ١، الصفحة ١٠).}.

وبالتالي لم يكن مـاركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ولا لينين قـادرين على عكس علوم الطبيـعة او كل العلوم وخاصة تلك التي ظهرت او شاعت بعد عصريهمـا. بل اقـتـصرا بما كـان موجوداً في يومهمـا. وكان الموجود العلمي قليلاً. والنقطة **الثانية** التي سأتطرق اليها باختصار هي: لماذا لم تتطور الماركسية منذ ايام لينين في حين اننا نشاهد اكثر من ثلث العالم يؤمن بالماركسية رسمياً؟ وعلى اختلاف المدارس الماركسية المنتشرة في اوروبا الشرقيـة والصين ولاوس وكمبوديا وكوريا والحبشة وكوبا وغيرها، فانهـا (كلها او كل على انفراد) لم تبدع ولم تطور المـاركسيـة بشكل محسوس، يشار اليه بالبنان ! ولاشك بان القارئ يدرك بان الفرد الواحد لا يسـتطيع دراسة جميع جوانب هاتين النقطتين ولكن القيـام بعرضهـا للنقاش ضروري ومفيد. فمعذرة ان خبت في مهمتي هذه.



الفصل الثاني

الظروف التي ظهرت فيها الماركسية

فما هي نواقص الماركسية المعاصرة؟ لاشك بان الكلام في هذا الموضوع سيخدش شعور الكثير من الماركسيين فمعذرة لهم جميعاً. انني لا انوي التقليل من اهمية الماركسية لأنها كانت خطوة جبارة في فهم المجتمع. بل اشير الى الاسباب التي جعلتها ناقصة. ولا حرج في ذلك فان الماركسية تؤمن بان كل الاشياء (وبضمنها الماركسية) هي نتاج الظروف المحيطة بها. {وهذا هو اساس الدياليكتيك نفسه}. كما وان الماركسية تؤمن بالموضوعية الخارجة عن ارادة الانسان. والظروف الموضوعية السائدة ايام ماركس ولينين اجبرتهما ان يفكرا بطريقتهما. كما وانهما عملا على تغيير هذه الظروف لافساح المجال لتطور المادية الجدلية في ظروف جديدة. دعنا اذن نذكر بعض الظروف والاحوال المادية والعلمية التي كانت تحيط بماركس ولينين. وقد تغيرت اكثرها:-

١ - ان الماركسية ظهرت حين كانت العلوم الطبيعية تؤمن وتعتمد على نظرية الاستقامة (Linear Theory) وهذه تؤمن بان انجع طريقة لفهم علاقة شيئين متغيرين تتم بتمثيل علاقتهما بخط بياني مستقيم. (وليس المقصود هنا اهمال التعرجات الطفيفة اثناء رسم الخط او التعويض عن الدائرة والقوس بمجموعة من الخطوط المستقيمة كما اشار

اليه ماجد، بل المقصود هو التعويض عن عدد من المنحنيات بخط مستقيم واحد) وبهذه الصورة كانت العلوم تعمل (عمداً) على اهمال التعرجات والانحناءات لغرض التبسيط. وقد لعبت هذه النظرية، ولاتزال، دوراً مهماً في نشر العلوم. ولكنها، وفي نفس الوقت، عملت على تضييق افق الباحثين باجبارهم على اهمال الانحناءات التي ثبتت اهميتها فيما بعد وخاصة في القرن العشرين.

ولهذا السبب، ولان التبسيط كان عادة جارية في تفسير الاشياء والظواهر، نجد الماركسية ايضاً تركز على تبسيط الامور رغم الاشارة الى تعقيداتها. فاقتصرت الماركسية فقط على فهم الظروف او تفسيرها وتخمين تطوراتها العمومية (لا الخاصة او الدقيقة) عن طريق صراع المتناقضات. ولكنها اهملت دقائق التطور وشرح تفاصيله وتعقيداته. وسوف تتوضح هذه النقطة تدريجياً خلال قراءة هذه المقالة.

{من الواجب الاشارة الى ان انجلس قد اكد، في مسودة كتابه حول دياليكتيك الطبيعة (راجع ٢، Frederick Engels, Dialectics of Nature, Foreign Languages Publising Hous, Moscow, 1954)، على ان قوانين الدياليكتيك تقتصر فقط على تفسير الاشياء وتطورها بصورة عمومية، لا الخاصة او الدقيقة، واكد ايضاً على ان القضايا "الخاصة" تحتاج الى دراسة مفصلة لكشف العناصر المؤثرة عليها والتي تدخل في تغييرها. من الواجب ايضاً ان نلفت نظر القارئ بان انجلس لم يكن

راضياً من مسودة كتابه حول ديالكتيك الطبيعة ويؤكد على هذا الشعور في مقدمة الكتاب، حين يشير الى عدم ارتياحه من الكتاب والى ضرورة اعادة كتابته في المستقبل بغية تصحيح الاخطاء الكثيرة، العلمية منها والفلسفية، قبل نشره. الا ان انجلس توفى قبل القيام بهذه المهمة، ولكن تم طبع المسودة بعد عدة عقود، سنة ١٩٥٤، ايام خروشوف، بحجة اهمية الاجزاء الصحيحة منها، لقد ادرك ماركس ايضاً الطبيعة العمومية للديالكتيك. فيقول لينين:« وهكذا بالنسبة لماركس ان الديالكتيك هوالعلم الخاص بالقوانين العمومية للحركة، بما في ذلك حركة العالم الخارجي و الفكر البشري» (لينين، نفس المصدر ١، الصفحة ١٢)}.

ولاشك بان الاشارة الى التطور والتغير كانت خطوة بارزة الى الامام في وقت كان معظم المفكرين يؤمنون بالسكون الابدي. والحق يقال ان ماركس ادرك اهمية الانحناءات والتعرجات، بل ذهب الى كتابة كتاب عن التفاضل والتكامل (اي رياضيات الانحناءات وتغيراتها) ولكن سرده لمعظم الظواهر الاجتماعية سرد مستقيم ومبسط. ولعل اهتمامه وتوجيه كتاباته للعمال والمضطهدين المحرومين من حق التثقيف اجبره على هذا التبسيط. كما لم يكن ماركس قادراً على اعطاء التفاصيل الكاملة للتغيرات المعقدة لقلة المعلومات المتوفرة في وقته كما سنرى.

{اما الماركسيون المعاصرون، ايام خروشوف وبرجنيف، فقد اهملوا،

عمداً، كافة التعقيدات، غير المستقيمة، في جوهر الاشياء بغية افساد البسطاء عن طريق تكرار ارائهم العقيمة وفرضها على الحركة الشيوعية العالمية بغية توجيهها في الاتجاه الذي يلائم اغراض التحريفية السوفياتية. وقد كان الحاحهم على ضرورة الحفاظ على السلام العالمي، في وقت كانت الحروب تعم مختلف انحاء العالم، خير مثال على جمودهم العقائدي.}.

٢ - ان الماركسية ظهرت حين كانت قوانين نيوتن الفيزيائية هي الشائعة، الى درجة انها كانت (ولاتزال في مجالات عديدة تعتبر قوانين ابدية وازلية. "فلكل فعل رد فعل يساويه في المقدار ويعاكسه في الاتجاه". {لاحظ ان المعادلة الجبرية التي تعبر العلاقة بين الفعل س ورد الفعل ص هي: س= ص والخط البياني لهذه المعادلة خط مستقيم يقطع المحور الافقي بزاوية قدرها ٤٥ درجة}.

هذه نظرية يرجع اصلها الى فكرة العين بالعين والسن بالسن لحامورابي. وقد انعكس هذا القانون في الماركسية بل وشجعها على التناقض وصراع المتناقضات على اساس تقابل الاشياء واحدة بواحدة. علماً بان نظريات نيوتن نفسها كانت مبنية على نظرية الاستقامة (فالقوة تساوي الكتلة في التعجيل، اي ان الخط البياني لقوة متغيرة والتعجيل الناتج يكون خطاً مستقيماً لأن الكتلة، ايام نيوتن، كانت تعتبر ثابتة. وكذا الحال في قوانين الزخوم والموازنة).

{من الضروري التشديد بان نظرية الاستقامة التي استخدمها نيوتن كانت تفي بالغرض في وقته. وانها تفي بالغرض في تفسير معظم الاشياء في الوقت الحاضر ايضاً. واتت النظرية النسبية لأنشتاين لحل القضايا المعقدة التي تفشل نظرية الاستقامة في حلها بدقة. والطريف ان انشتاين استخرج نظريته بعد ان فرض ان سرعة الشئ لا يمكن ان تزيد على سرعة الضوء. ولكن الآن، سنة ٢٠٠٠م، أكتشف امكانية زيادة سرعة الشئ على سرعة الضوء وبالتالي فقدت النظرية النسبية لانشتاين دقتها في هذه الحالات، حالها حال نظريات نيوتن.}.

وهنا لا ننوي انكار وجود التناقض او انكار وجود رد الفعل بل نبين بان هذا القانون مبسط ولا يأخذ التشعب والتفاعل والتداخل(Inter- actin) في نظر الاعتبار (كما سنرى). اي اننا نؤكد على امكانية وجود ردود فعل متعددة **لفعل واحد**، وان ردود الفعل هذه قد تكون مختلفة ولا تساوي الفعل وحتى لا تشبهه.

{لقد اشار ماركس لكل هذا ولكنه لم يشرحه ولم يقدم الاقتراحات الدقيقة لحله، بينما نسي دعاة الماركسية فيما بعد حتى الاعتماد عليه.}

وسوف ندخل في موضوع التشعب بنوع من التفصيل فيما بعد لأهميته، ونكتفي هنا ببعض الامثلة على التداخل. فمثلاً نجد البناء يؤثر على التربة التي تحمله وننسى ان التربة هذه تؤثر، هي ايضاً، على البناء وتغير تصرفاته وتأثيراته. وبالتالي فان تأثيرات البناء على التربة

تتغير ونتيجة لذلك يتغير تأثير التربة على البناء وهكذا. وهذا مثل بسيط في مجال يعتبره معظم المهندسين بتقابل فعل البناء مع رد فعل التربة. وحتى هذا التفصيل يصبح تبسيطاً لو دخلنا الموضوع بعمق اكثر في دراسة تصرفات البناء والتربة اثناء الزلازل والقصف الجوي والى آخره من التأثيرات المتغيرة. وكذا الحال مع العناصر الستة عشر للينين (الصفحة ٥٠ و ٥١ من مجلة الغد، العدد ١٤) اذ استعرض لينين عناصر الجدلية واشار الى كون العنصرين ١٥ و١٦ امثلة للعنصر التاسع. اما التفاعل والتداخل فيذهب ابعد من لينين ليفحص بتفصيل دقيق تأثير العنصر السابع مثلاً في تغيير العنصر الرابع مثلاً. وتأثير هذا العنصر على العنصر الثاني عشر ومن ثم تأثير هذا على السابع وبصورة عامة تأثيرات كل العناصر على بعضها البعض، الامر الذي يؤدي الى ظهور عناصر جديدة فيتطور الدياليكتيك نفسه. وهنا لا نقصد الاقرار بحقيقة تأثير الاشياء ببعضها البعض، كما فعل ماركس، بل نذهب ابعد من ذلك للدراسة العميقة للتغيرات واكتشاف تفاصيلها ورفض الملاحظات السطحية او العامة لكي ننتهي بعلاقات محددة، غير مستقيمة.

٣ - ظهرت الماركسية حين كانت التجربة (الممارسة) والعلوم التجريبية (التي كانت تهدف الوصول الى قوانين واستنتاجات عامة (Empirical Formula) عن طريق اجراء العديد من التجارب) هي

السائدة، وكان العلم في صباه بالقياس الى التطورات التي حدثت في القرن العشرين. وسوف نتكلم عن حداثة العلم وعن بعض العلوم الجديدة بنوع من التفصيل فيما بعد، وكانت هذه التجارب العلمية خطوة كبيرة الى الامام بالقياس الى الخرافات السائدة واتت باستنتاجات تقضي على هذه الخرافات. كما وقضت على الافكار الخاطئة التي توصل اليها الانسان بالفطرة والقريحة دون البرهان والممارسة. وكانت العلوم (ومنها الماركسية) في صراع ضد الافكار السائدة هذه. ولكن بتطور العلوم تمكن الانسان من اكتشاف واستخدام طرق جديدة في البحث العلمي نذكر منها اثنين. فأولاً تمكن الانسان من اشتقاق النظريات وبرهنتها رياضياً ومن ثم القيام بتجارب لتحقيقها وتطبيقها. وبصورة خاصة تمكن علماء الرياضيات من اكتشاف نظريات جديدة واثباتها نظرياً دون اللجوء الى التجربة لعدم الحاجة اليها. وكمثل بسيط لاداعي للقيام بتجربة للاثبات بان الواحد هو نصف الاثنين او ان مجموع زوايا المثلث يساوي ١٨٠ درجة، اذ يمكن اثبات ذلك رياضياً وهذا الاثبات موجود في كتب الجبر والهندسة.

وثانياً (وبالرغم من انتقاد ماجد للصدر) اخذت الفطرة والقريحة تلعب دورها في اكتشاف وتطوير العلوم. ان ذلك لا يغير شيئاً من اهمية الاكتشافات التي تصبح حقيقة واقعة مهما كانت وسيلة اكتشافها. ثم ان التطورات العلمية اثرت على دماغ الانسان ورقته مما فسح المجال

لاكتشاف آفاق جديدة. وخير مثال يمكن ضربه هنا هو اكتشاف البقع السوداء المظلمة في الكون الخارجي من قبل صبي صغير العمر ومصاب بالعاهات البدنية {المقصود هنا هو اكتشاف الاجواف المظلمة Black Holes من قبل البروفسور Stephen Hawkins } وذلك عن طريق القريحة {الحدس} وبعد دراسته لنظريات اينشتاين. وهناك ظاهرة مهمة تستحق الاشارة وهي اكتشاف النظريات التي لا يمكن ممارستها او تجربتها او تطبيقها او الاستفادة منها، لأن الاشياء (كما اشار ماركس) تتطور بدرجات متفاوتة. ولكون العلوم التطبيقية متأخرة في بعض المجالات بالنسبة للعلوم النظرية فلا تستطيع العلوم التطبيقية الاستفادة من النظريات المثبتة الا بعد مدة.

{فمثلاً تم البرهان نظرياً (رياضياً) سنة ١٩٩٩ على امكانية الانتقال عبر الاجواف المظلمة وبالتالي تحقيق السفر والوصول الى النجوم البعيدة بسرعة تفوق سرعة الضوء. ولكن تحقيق ذلك عملياً بعيد المنال ذلك لعدم وجود وسائط النقل التي تستطيع اختراق هذه الاجواف ، بل الاتعس هو ان هذه الاجواف مازلت لم يتم اكتشافها بالتجربة العملية.}.

وهكذا نجد الفطرة والقريحة النظرية تسبق وتقود التجارب والممارسة بمرحلة زمنية. ومثلاً ايضاً: ابتدع علماء الرياضيات علم المجاميع (Matrices, Sets and Groups) قبل اكثر من قرنين (اي قبل ماركس) وبقي هذا العلم بدون تطبيق او فائدة حتى النصف الثاني من القرن

العشرين حين تم اكتشاف الحاسبات الالكترونية (Computers). ومنذ ذلك الحين اصبح علم المجاميع العمود الفقري في حل المشاكل في كل المواضيع التي تحتاج استعمال الحاسبات. وسوف نبحث بعض تأثيرات الحاسبات على تغيير المجتمع فيما بعد.

٤ - ظهرت الماركسية حين كانت الديانة المسيحية والفلسفات المثالية هي السائدة والمسيطرة على عقول الناس، بينما كانت الآراء والنظريات العلمية مهملة، {بل منبوذة في معظم الاحوال الا اذا كانت تجلب الارباح للشركات الرأسمالية}، فوجدنا ماركس يستخدم العلم كسلاح لمهاجمة الفلسفات المثالية. ورغم كون هذا العمل خطوة ضرورية كبيرة الى الامام فقد كان ماركس مشغولاً بمحاربة الفلسفات المثالية { بل الرأسمالية نفسها } وهذا ما اجبره على الاستسلام للعلوم السائدة في زمنه وقبولها. فلم يعمل (ولا كان قادراً) على نقد النظريات العلمية الموجودة والتي ثبتت ضحالتها او سذاجتها او تم بطلانها فيما بعد. ولم يعمل على تطويرها.{ لأنه لم يكن مختصاً في العلوم غير الاجتماعية، وعند المقارنة بين ماركس وانجلس نرى ان الاخير كان اكثر الماماً بالعلوم الطبيعية بما في ذلك الرياضيات والفيزياء والكيمياء}. اي ان انشاغله بالقديم أخّره ومنعه من تطوير الحديث. اي ان سيادة الفلسفات المثالية وانشغال ماركس بتفنيدها عملت على تحديد ابداعات ماركس واعاقة عمله. ومن ثم ونتيجة لانتكاسة الماركسية وطغيان المثالية والانتهازية (في فترة

الاممية الثانية وسقوطها) بعد ماركس، جعلت الماركسية نفسها شيئاً شبيهاً بالدين عند الكثير من الماركسيين. ولكننا ان اردنا تطوير الماركسية، علينا ان ندرك بان الفلسفات المثالية قد اصبحت خارجة عن الصدد في عالمنا المادي. فحتى قادة الاستعمار تبنوا المادية. فنجد ريغان وثاتشر يؤكدان، وبكل صراحة، بانهما يقودان مجتمعاً رأسمالياً، مادياً، غرضه جمع اقصى الارباح باستخدام النظام النقدي (Monetarism). ان على الماركسيين ان يقوموا بدراسة عميقة للعلوم للاستفادة منها ونقدها وتطويرها لفائدة قضاياهم الثورية. وهذه ليست مهمة بسيطة (ولا تتم بالاستسلام للعلم السائد والتسبيح بحمده) وذلك لان العلوم قد تطورت وقد اصبحت في كثير من الاحوال فوق متناول الكثيرين وخاصة عند الشعوب المظلومة التي لا تملك الامكانيات المادية او العلمية.

وليس الاهتمام الحديث بالدين وقيام علماء الدين بقيادة الثورات في ايران وامريكا اللاتينية "دعوة ظاهرية للقديم ونقض للنقيض" بل هو دليل على فشل دعاة الماركسية في قيادة الثورات، بينما استمر المستعمرون والحكام الظالمون على استغلال واضطهاد الشعوب ببطش اكبر. فاضطر علماء الدين الى التصدي لقيادة الشعب وذلك لضعف الماركسيين في هذا المجال وعزلتهم عن الشعب، علماً بان هنالك ارتباطاً موضوعياً بين الدين والماركسية. فالاثنين (على اختلافهما) أتيا لمحاربة الاضطهاد والاستغلال. فمثلاً حرمت الديانة الاسلامية الربا وهاجمته

الماركسية باعتباره اساساً للاستغلال الرأسمالي. وقد وصف لينين الاستعمار الحديث بكونه عملية «لتصدير الرأسمال الى الخارج لغرض الربح». ثم ان معظم علماء الدين للشعوب المظلومة، بحكم واقعهم المادي وكونهم مرشدين للجماهير، لا بد لهم ان يتحسسوا آلامها. فليس غريب مثلاً ان يتعاون الماركسيون وعلماء الدين في نيكاراغوا لمحاربة الاستعمار الامريكي وعميله سموزا.

٥ - لقد اشرنا بان الماركسية ظهرت حين كانت العلوم حديثة ولكنها كانت مضطرة الى نقض الاوهام، في وقت كان الصراع بين القديم والجديد على قدم وساق. ونتيجة لتطور العلوم والمخترعات ظهرت الرأسمالية وصراعها الطبقي مع الاقطاع من جهة والعمال من جهة اخرى. وامتازت ايام ماركس ولينين بالثورات والحروب. كل هذا اجبر ماركس والماركسية على التركيز على التناقض والصراع. وهذا ما جعلهما ان يقصّرا في اعطاء الاهتمام الكافي للجوانب الاخرى الخارجة عن نطاق التناقض ولكنها في الوقت نفسه مهمة في دراسة المسألة وتعقيداتها العامة. ولنضرب هنا بعضاً من الامثلة العلمية والسياسية. ففي علم الذرة، مثلاً، تم في بداية الامر اكتشاف الصراع بين البروتونات الموجبة والالكترونات السالبة. ولتعادل الشحنات السالبة والموجبة تم اكتشاف التعادل الذري. ومن الجهة الثانية تم الادراك بان تخلخل هذا التعادل سيؤدي الى انتاج طاقة نووية هائلة كما هو معروف الآن. وهذا يؤكد ما

قاله لينين بأن «الجدلية بشكلها الصحيح هي دراسة التناقض في صميم جوهر الاشياء وان الجدلية هي نظرية وحدة الضدين.». والاستنتاج المنطقي لهذا التعريف يجعل الجدلية (ضمنياً) لا تعير اهتماماً كافياً للقضايا الخارجة عن نطاق الصراع الظاهر رغم وجودها. في حين ان الدراسة الاعمق قد كشفت اشياء جديدة لا تلعب دوراً في التناقض القائم ولكنها تلعب دوراً ايجابياً مهماً. اذ سرعان ما تم اكتشاف البوزيترون (ذو الشحنة الموجبة ووزن مساوي للالكترون) وكذلك النيوترون. وهذا الاخير محايد (اي لا سالب ولا موجب) ولكنه ثقيل، ثقل البروتون، فيعمل على زيادة ثقل الذرة من جهة ويلعب دوراً اثناء التحولات الذرية والتداخل (Interaction) بين فوتون اشعة گاما (γ) وبين الذرة. اما دور النيوترون في الصراع بين الالكترون والبروتون فغير معروف. اي اننا الآن ادركنا وجود جوانب جديدة للذرة عدا الصراع الموجود بين الالكترون والبروتون.

والمثال المهم في الرياضيات هو دور **الصفر**، الرقم المحايد الذي يفصل الارقام السالبة والموجبة، ولكنه لا سالب ولا موجب وبدونه لا يمكن حتى المرور من السالب الى الموجب. (لاحظ ان عملية الانتقال من السالب الى الموجب تكون عبر الصفر، وسوف ندخل في دور الصفر بصورة مفصلة في عمليات الانتقال من دور الى دور آخر عند تقديم علم التشعب فيما بعد). وفي كثير من الاحيان يلعب الصفر دوراً ايجابياً طاغياً. فمثلاً

حين يضرب اي رقم بالصفر، يطغي الصفر ويكون الناتج صفراً. اي ان الصفر يقوم بتحييد الارقام الاخرى وهو الطاغي رغم حياده. وفي علم مقاومة المواد نجد بان لوي الجسور يؤدي الى تمدد قسم منها وتقلص القسم الآخر مع تكوين سطح محايد (Neutral Plane) لا يتمدد ولا يتقلص ولكن يلعب دوراً مهماً اذ يستخدم المهندسون هذا السطح لحساب قوة الجسر وفهم تصرفات الاجزاء السالبة والموجبة.

والمثال السياسي الشبيه بالامثلة السابقة هو **الحياد** ودوره في السياسة. ولابد لنا ان نتذكر سنة ١٩٥٥ حين اجتمع قادة بلدان عدم الانحياز في باندونغ، اذ نالوا التهكم من الشرق والغرب بالحاح الطرفين على استحالة الحياد. ولكن سرعان ما استمرت حركة عدم الانحياز واثبتت دورها الايجابي وجدنا الشرق والغرب يعملان على الاستفادة منها بدفع اصدقائهما للمشاركة فيها. ولذا نجد العراق والاردن والسعودية ومراكش وكوبا وڤيتنام ولاووس وافغانستان اعضاء في منظمة بلدان عدم الانحياز ! بينما نجد المستعمرين يعملون على ابقاء عملائهم (مصر واندونيسيا) قادة لهذه الحركة.

[كان العراق والاردن والسعودية والمغرب ومصر واندونيسيا، سنة ١٩٨٣ اثناء كتابة هذه المقالة، منحازاً بصورة كلية نحو الغرب بينما كانت كوبا وڤيتنام وافغانستان ولاووس منحازة الى المعسكر السوڤياتي]

هذا من جهة ومن الجهة الثانية نجد كل معسكر يعمل على تحييد

الطرف الآخر في التناقضات القائمة. فما ان هاجم العراق ايران حتى وجدنا الرئيس الامريكي كارتر يصرخ ويؤكد على ضرورة بقاء امريكا والاتحاد السوفيتي محايدين في الصراع. وكان واضحاً بأنه اراد استخدام معاهدة «الوفاق الدولي» {بين الاتحاد السوفيتي وامريكا} لاجبار السوفيات باتخاذ موقف محايد في حين انه دفع الاردن والسعودية ومصر ودول الخليج الى مساندة العراق للاطاحة بالحكم الاسلامي في ايران. وكذا الحال في بداية الهجوم الاسرائيلي على لبنان اذ خرج الجنرال هيغ، وزير خارجية امريكا، مدعياً الحياد. ولكن بعد ايام اظهرت امريكا موقفها الحقيقي واخذت تهدد بدخول لبنان. واعترض برجنيف شخصياً ضد هذا التهديد والّح على حياد المعسكرين. ولكن اشارة برجنيف هذه كانت كافية لاقناع امريكا بأن السوفيات سوف لا يتدخلون في المعركة. الامر الذي شجع على انزال الجيوش الامريكية والغربية لاحتلال لبنان رغماً عن السوفيات وكسراً لشوكتهم وشوكة العرب الفلسطينيين!

وحينما نجحت الثورة الايرانية التي تؤمن بالحياد، سارعت الحكومة العسكرية في تركيا (العضوة في الحلف الاطلسي بقيادة الشيطان الاكبر) بالعمل على اقامة العلاقات القوية مع ايران. كما نجد الجزائر المحايدة تلعب دوراً هاماً لعقد الصلح بين العراق وشاه ايران وتعمل الآن على عقد الصلح بين البلدين طبقاً لمشيئة الامريكان. وهكذا نكتشف جوانب معقدة ومتعددة حتى في الحياد الذي كنا ننكره سابقاً. اذ نجد

الآن الحياد "التام" والحياد المنحاز للغرب وللشرق وكذلك الحياد المتناقض مع نفسه.



الفصل الثالث

تأثير العلوم الحديثة على المجتمع

لعل نواقص الماركسية المعاصرة برزت بعد تطور العلوم والاختراعات التي احدثت تغيرات اجتماعية كبيرة. وان تأثير هذه الاختراعات لم يكن قاصراً على تغيير الواقع المادي بل تعداه الى تطوير الفلسفة والافكار والعلاقات الاجتماعية. ولابد لنا ان نبرز دور العلوم ذات المغزى الاجتماعي العميق فنذكر منها:

١ - الجبر البوولي Boolean Algebra وعلم المجاميع

وقد لعبا دوراً كبيراً في جعل الاجهزة الكهربائية تقوم باخذ القرارات المنطقية وتحويل المنطق والفلسفة الحديثة الى علوم رياضية لا يفهمها ولا يستطيع تطويرها غير المختصين. وهكذا خرجت الفلسفة الحديثة من باب التخمين والحدس المبني على قوة الملاحظة او الممارسة الى علم واضح المعالم وقائم بحد ذاته يتطور بالدراسة النظرية والعملية.

٢ - العلوم الالكترونية

وهذه استعملت الجبر البوولي وعلم المجاميع لصنع الحاسبات والدمى الالكترونية (Robotics) التي تستطيع القيام باعمال الانسان واتخاذ القرارات الانسانية. ونتيجة لتطور هذه العلوم وجدنا العواقب التالية:

أ- كان الشائع بأن الانسان قادر على التفكير والابداع وان الالة لا تستطيع ذلك. بينما وجد الآن علم متطور يسمى الذكاء الاصطناعي. وصار بالامكان كتابة الخورزمات (Computer Programs) لجعل الآلة تعمل وتتكلم وتسمع وتجيب وتفكر وتنتج وتخترع آلات ارقى من نفسها.

ب - كان الشائع بان الانسان يملك الطاقة العضلية والعقلية التي يستغلها الرأسمالي لغرض الربح. وقد قال ماركس بأن «الانسان اثمن رآسمال في العالم». اما الآن فقد نجح في اختراع وصنع الدمى الالكترونية التي تستطيع القيام بكل شئ كان العامل الماهر (البروليتاريا) يقوم به. وبالتالي اخذ الرأسمالي يستغني عن استغلال الانسان ويتركه عاطلاً، ذلك لأن الربح في استغلال الدمى الاصطناعية اكثر. ثم ان الآلة لا تثور ولا تضرب عن العمل. ولهذا يصرف الرأسمالي جهده في التعجيل في عملية تعويض العامل بالآلة. تصور مثلاً: ان سيارات الڤولڤو كلها تصنع من قبل ست دمى اصطناعية و٢٦ شخصاً. ويقوم هؤلاء الاشخاص بتصليح الدمى عند العطب فقط دون الاشتراك

في عملية الانتاج. ان الدراسة الاولية تشير الى ان عدد العاملين في بريطانيا قد تهبط الى ثلاثة ملايين فقط سنة ١٩٩٠. وهذا في بلد يبلغ سكانه ٥٦ مليون نسمة. وهكذا نجد الرأسمالي **يتحرر** من العامل ويرفض استغلال العامل بدلاً من تحرر العامل من الرأسمالي !

{يبلغ عدد العمال الصناعيين الآن، سنة ٢٠٠٠م، في بريطانيا حوالي ٤,٥ مليون عامل وقد حولّت الشركات العملاقة عدداً كبيراً من مصانعها الى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، حيث الاجور واطئة، ونقابات العمال غير مؤثرة ولا يوجد قوانين للضمان الاجتماعي.. وتشكل منتجات المعامل Manufacturing Industry ١٦٪ من مجموع الانتاج البريطاني الاجمالي. وقد تمكنت المؤسسات البريطانية تخفيض نسبة البطالة عن طريق التركيز على الرأسمالية المالية وتدريب العمال العاطلين على العمل في الصناعات الراقية.High Tech وفي البنوك وشركات التأمين والمؤسسات الخاصة بالتصدير بل حتى في تصدير الايدي العاملة الى بلدان العالم الثالث بغية الاشراف على الصناعات الجديدة التي اسستها الشركات البريطانية هناك}

٣ - الوراثة

وقد تطور هذا العلم من دراسة تطور الكائنات الحية لداروين وتفاعل الجينات لمندل الى علم الهندسة الوراثية وانتاج مخلوقات جديدة في المختبر بتطعيم كروموسومات الخلية بجينات و (DNA) تؤخذ من

كائنات حية اخرى وذلك لانتاج مخلوقات ارقى من المخلوقات الطبيعية. وهكذا يتم تحسين النسل باستثناء الابوين. ان تطور هذا العلم سيؤدي الى تحسين واكثار المنتجات الزراعية التي تغذي الملايين من سكان العالم، كما ان انتاج الانسان ذي التفكير الراقي قد يساعد على القضاء على الاستغلال والاستعباد والاستعمار .

{ منذ الكتابة الاولى لهذه المقالة تمكن العلماء من كشف خواص المجموعة الكاملة للجينات البشرية كما واكتشفوا كيفية القضاء على عدد من الامراض الوراثية. والاهم من كل هذا اعلن علماء البايولوجيا عن معرفتهم لخلق كائنات حية في المختبر من المواد الكيميائية، غير الحية. وعن عزمهم على القيام بذلك في القريب العاجل. الا ان الجانب المعرقل لعلم الجينات جاء حين قررت الشركات الرأسمالية العملاقة، المختصة في الكيمياء والصيدلة، امتلاك براءة الاختراع لاشكال الحياة المخلوقة تقنياً من قبل المهندسين، مما يؤدي الى احتكار المعلومات العلمية ومنع استفادة الشعوب منها.(لتفاصيل اكثر حول هذا الموضوع راجع ٣، كمال مجيد، العولمة والديمقراطية Woodstock Publishing و دار الحكمة، بالعربية، لندن، ٢٠٠٠م، الصفحتان ٧٧ و ٧٨).}.

٤ -التشعب ورياضيات المصائب Catastrophe Theory

يمكن اعـتـبـار هذا العلم واحـداً من التطورات العظيـمـة المرتبطة بالماركسية ارتباطاً عضوياً ولاهميته سندخل فيه بنوع من التفصيل.

{قـبل اكـتـشـاف رياضـيـات المصائب، سبق واشـار لينين الى ظاهرة المصائب اكثر من مرة. فيقول وهو يتكلم عن الدور الذي لعبه ماركس وانجلس في صياغة الدياليكتيك بصورة افضل من هيغل: -

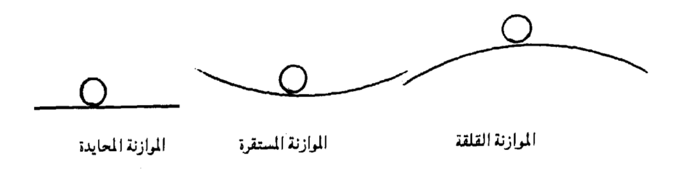
«في يومنا هذا اخترقت فكرة النمو والتطور الوعي الاجتماعي بصورة تكاد تكون كلية ...ان هذا التطور يظهر الشئ وكأنه يعيد المراحل التي سبق ومر بها، ولكن الاعادة تجري بشكل آخر على مستوى اعلى ("نقض النقيض") انه تطور يمكن ان يوصف باللولبي، ليس على خط مستقيم،- تطور ذو قفزات، ومصائب، وثورات، - " يحوي انقطاعات في الاستمرارية"، تحول الكمية الى الكيفية، - الاندفاعات الداخلية للتطور، تحدث من قبل التناقض والصراع بين الاتجاهات والقوى المختلفة المؤثرة على جسم معين او ضمن ظاهرة معينة او ضمن مجتمع معين....». (لينين، نفس المصدر ١، الصفحتان ١٢ و ١٣).

ان هذه الكلمات تحوي كل مقومات نظرية المصائب الرياضية : **اللولبية**، بدل الاستقامة، **التغيرات** الكيفية الناتجة من التطورات المستمرة، **الانقطاع** في الاستمرارية، **الانتقال** من مستوى الى مستوى ارقى او ادنى، مشاركة **اكثر من عامل واحد**، اكثر من قوة مؤثرة واحدة

واكثر من اتجاه واحد لاحداث **القطيعة الفجائية** بين الحالة الجديدة للشئ وحالته السابقة. والطريف يشير معظم علماء رياضيات المصائب، في سياق شرحهم للموضوع، الى الحاح لينين قبل ايام من ثورة اكتوبر على ضرورة قيام الثورة في اليوم الذي حدده، (٧ تشرين الثاني ١٩١٧،التأريخ الروسي القديم) وليس قبله او بعده بيوم وذلك لتنفيذ القطيعة الفجائية في ذلك اليوم قبل فوات الاوان وبعد توفر كافة المستلزمات !). لقد كانت رياضيات المتغيرات (التفاضل والتكامل) تهتم فقط بالدلات المستمرة (Continuous functions) دون الاهتمام بانقطاع الاستمرارية او تشعبها او انشقاقها. وظهرت رياضيات المصائب لتهتم بهذا الانقطاع. والمقصود بالمصيبة هنا ليست الفاجعة المؤسفة بل اية هزّة او حادثة فجائية، مؤلمة كانت ام مفرحة. دعنا نقدم بعض الامثلة لشرح الموضوع باختصار:

هناك ثلاثة انواع من التوازن (Equilibrium): الموازنة المستقرة كالكرة القابعة في اسفل وادي كروي مقعر. فاذا ازيحت الكرة من قعر الوادي وثم تركت لشأنها، عادت الى قعرالوادي لتستقر ثانية. ان الطاقة الكامنة لهذه الكرة هي اقل ما تكون (في نهايتها الصغرى). وهنالك ايضاً التوازن القلق كالكرة الساكنة على قمة تل محدب. فأقل ازاحة لها تسببب دحرجتها الى اسفل التل. والطاقة الكامنة للكرة هي في نهايتها العظمى. اما التوازن المحايد فنجده في الكرة الواقفة على سطح افقي

. فان طاقتها الكامنة تساوي **صفر** ولا تتغير عن طريق ازاحتها. والكرة لا تعبأ بالازاحة الى اليمين او الشمال او الامام او اي اتجاه آخر. وفي كل الاحوال تعود الكرة الى حالة التوازن المحايد وتبقى طاقتها الكامنة مساوية للصفر. اي ان تصرفات الكرة تشعبت خلافاً للتصرف الفردي لكرة فوق التل او قعر الوادي والتي تتغير طاقتها بالازاحة. (لاحظ الشكل رقم ١).



الشكل رقم ١

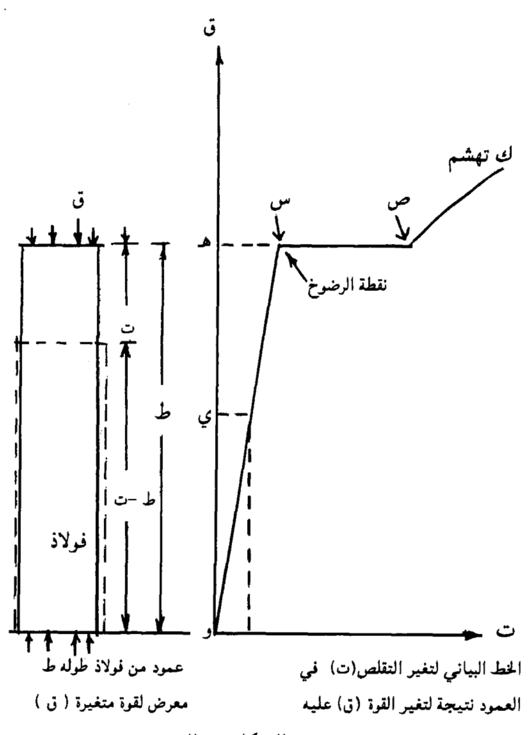
تصرفات الكرة

دعنا نضرب مثلاً اعمق: تصور عموداً فولاذياً غليظاً حاملاً لقوة مقدارها (**ق**) تؤثر على العمود لتقليصه بمقدار (**ت**) فينقص طوله من (**ط**) الى (**ط - ت**). ولو عزمنا على تقليص العمود بمقدار اكثر فعلينا ان نضيف قوة اكبر. وهكذا نستطيع رسم خط بياني للتغير في تقلصْ العمود مع زيادة القوة المفروضة عليه، كما هو مبين في الشكل رقم (٢).

ان القسم (و س) من الخط البياني يختص بالقسم المرن من تصرف العمود ويمكن تمثيله بخط مستقيم باستخدام نظرية الاستقامة. ولكن حين تصل القوة القيمة (هـ) يصل الفولاذ نقطة الرضوخ (س)، فيقصر طول العمود كمية كبيرة مبينة في الخط البياني بمقدار (س ص) ويفقد الفولاذ مرونته ليصبح شبيهاً باللوائن (البلاستيك مثلاً). وفي نقطة (ص) تزداد صلابة العمود ثانية ثم ينهار في (ك) ويتهشم الفولاذ. اي ان العمود يمر بعدة حالات ولا يمكن تمثيل كل تصرفاته بخط مستقيم واحد.

{هناك ثلاث تغيراتكيفية في تصرف العمود تحدث: في لحظة الرضوخ، النقطة س في الخط البياني، ثم في ص حين يكتسب العمود صلابة جديدة، وثم في ك حين يتهشم العمود}.

لا يوجد اي تناقض بين هذا التصرف للعمود وبين المادية الجدلية التي تؤمن بالصراع والتناقض بين مقاومة العمود والقوة المؤثرة عليه لتحدث


ق
ك تهشم
س
ص
ق
هـ
نقطة الرضوخ
ت
ط
ي
ط -ت
فولاذ
و
ت
عمود من فولاذ طوله ط
معرض لقوة متغيرة (ق)
الخط البياني لتغير التقلص(ت) في
العمود نتيجة لتغير القوة (ق) عليه

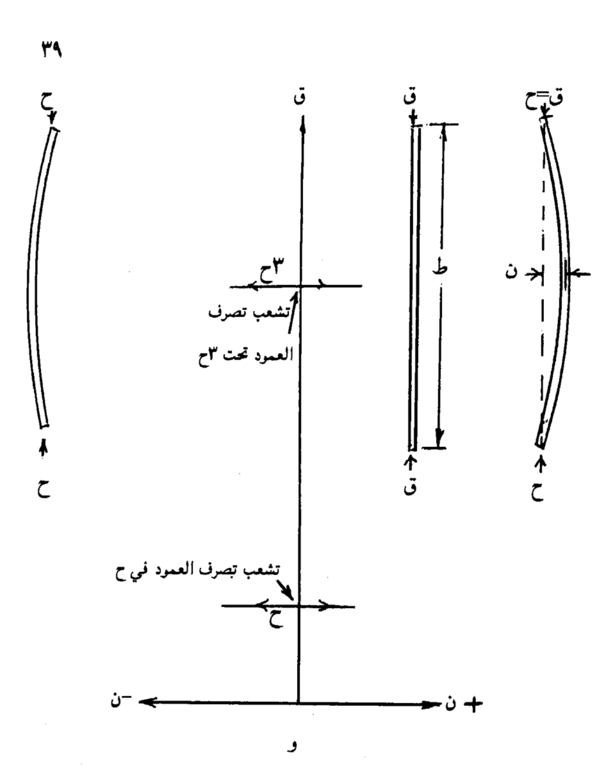
الشكل رقم ٢

تغيرات كيفية كالميوعة ونقصان الصلابة ثم زيادتها وحتى التهشم.

دعنا اذن نطور المثال الى حدود ارقى من المادية الجدلية (التي تستطيع فقط القيام، بعبارات عمومية، بالتعليل البدائي لتصرّف العمود دون التفاصيل الدقيقة التي تتعدى مرحلة صراع المتناقضين الى مرحلة اعلى واعقد واغرب) حين يصيب العمود بالتشعب. دعنا نعيد التجربة مستخدمين عموداً **رفيعاً** ولكن مصنوعاً من نفس الفولاذ وله نفس الطول السابق (ط).

ان زيادة القوة (ق) تقلص هذا العمود **الرفيع** ايضاً بنفس الاسلوب السابق. ولكن وقبل الوصول لنقطة الرضوخ (س) يصبح تقلص العمود **فجأة** شيئاً ثانوياً مهملاً وعديم الاهمية. ان الشئ المهم والفجائي الذي يحدث هو ان العمود المستقيم (تام الاستقامة) **يلتوي** فجأة ويصبح منحنياً كما هو مبين الى يمين الشكل رقم (٣).

يمكن قياس انحناء العمود بقياس انحراف منتصفه الى اليمين بمقدار (ن) مبتعداً عن الوضع العمودي المستقيم الذي كان فيه قبل حدوث الانحناء الفجائي. والخط البياني لهذا الانحراف مع القوة المسلطة يبين بان الانحراف (ن) عن المقر العمودي يساوي صفراً حين تزداد القوة المسلطة من (و) الى (ح). ولكن فجأة، حين تصل القوة القيمة (ح)، يلتوي العمود ويتحرك منتصفه الى اليمين بكمية هائلة (ما لا نهاية) ويفشل العمود لا لكونه قد تقلص قليلاً بل للانحناء الفجائي الذي طرأ



الخط البيان للانحناء (ن) مع القوة المتغيرة (ق)

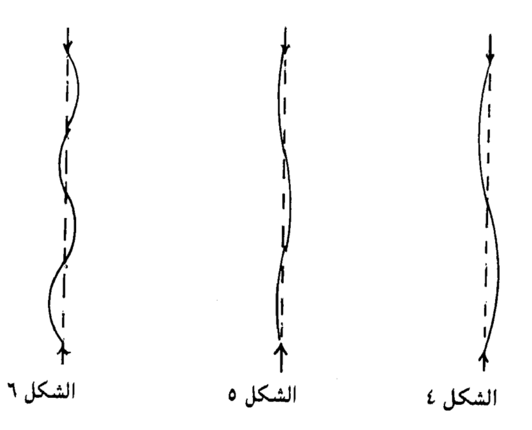
الشكل رقم (٣)

عليه. علماً باننا لم نعرض العمود، اطلاقاً، الى قوة جانبية في منتصفه (من اليسار الى اليمين بصورة افقية) لتلوي العمود الى اليمين. وقد حدث الالتواء من تلقاء ذاته نتيجة لقوة عمودية كانت تضغط على نهايته العليا وكانت تعمل جهدها لتقصير طول العمود، لا لويه. (حاول التجربة بنفسك مستخدماً مسطرة رفيعة تمسكها في نهايتها العليا وتضغط عليها).

اذن حصلنا، نتيجة لفعلنا، على شئ جديد لم يكن بالحسبان. وان رد الفعل للعمود لايشبه الفعل اصلاً. وليست هذه نهايه القصة. فان تجربة ثانية لعمود مماثل قد تنتهي بانحناء العمود الى اليسار (كما هو مبين في يسار الشكل رقم ٣)، او قد ينحني العمود، اذا كان مقطعه الافقي دائرياً، الى الامام او الخلف.

اي ان العمود، تحت القوة (ح = 484 EI/ 49L.L) قد اصيب بالتشعب الفجائي عندما يصبح في توازن محايد ويلتوي بكل سهولة في اتجاهات مختلفة، في حين تكون طاقة الاجهاد للالتواء Strain Energy in Binding تساوي ***صفراً***. وهذا مثل بسيط على تشعب انحناء العمود. ولكن **الاغرب** من هذا كله هو ان بامكان العمود، ***رياضياً***، ان لا يلتوي اطلاقاً بل يبقى مستقيماً. اي ان تصرف العمود قد اصيب بالانشطار والتعدد. اذ هنالك امكانية اللوي جانباً او ***عدم اللوي اطلاقاً*** واحتفاظ العمود على استقامته ! وفي حالة عدم اللوي وبقاء العمود مستقيماً،

فعندما تكون القوة المسلطة ثلاثة اضعاف القوة السابقة اي (٣ح) يعاني العمود انشطاراً جديداً في تصرفه ويصبح بامكان العمود ان يلتوي، من جديد، الى موجة كاملة كما هو مبين في الشكل رقم (٤). وبامكان العمود ان يبقى مستقيماً حتى تحت هذه القوة العالية ليلتوي تحت قوة اكبر تساوي (٥ح) وياخذ الصورة المبينة في الشكل رقم (٥) وهكذا الحال ايضاً حين تصل القوة مقدار ٧ح و٩ح و١١ح ... الى آخره والى ما لانهاية من الحالات. وفي كل مرة يزداد عدد الموجات التي تظهر في العمود الملتوي بنصف موجة بالصورة التي نجدها في الاشكال ٤ و٥ و٦ و.....الخ. اي ان مصيبة او فاجعة **فجائية** عظمى تحدث



(*او قد لا تحدث*) تحت قوى معينة (*لاغيرها*) حين يصاب تصرف العمود بالانشطار والتعدد حين تصل طاقة الاجهاد في العمود لمقاومة اللوي *صفراً*.

لقد تم البرهان رياضياً على هذا التصرف للعمود سنة (١٧٥٠م) اي قبل ماركس، من قبل عالم الرياضيات الفرنسي اويلر Euler. وبقي قانون اويلر (للانبعاج)هذا عديم الفائدة الى ان اصبح شيئاً مهماً في علم الهندسة في القرن الحالي. وباستخدام علم المجاميع، والذي ظهر ايضاً قبل قرنين، اصبح بالامكان تعميم قانون اويلر للفواجع ليشمل تصرفات الابنية والانشاءات الكاملة كالجسور والطائرات والمكائن وغيرها.{راجع ٤ كمال مجيد، Non- Linear Structures, Butterworths,London,1972}.

{لقد تم البرهان على تصرفات العمود. منذ اويلر مستخدماً قانون الانبعاج. الا ان البروفسور تومبسون في جامعة لندن قد طبق نظرية المصائب للوصول الى نفس النتائج وذلك في السبعينات من القرن العشرين.}

{من الممكن، بالطبع، استخدام الكلمات العامة مثل التناقض والتطور والتغير من حالة الى اخرى في وصف تصرفات هذا العمود ايضاً. ولكن ذلك سيكون وصفاً عمومياً بل بدائياً وضحلاً، يستغني عن التفاصيل الدقيقة، والمهمة، ليركز على قشور المسألة.}.

لنطور الموضوع الى اقصى حد: ان ما يحدث هو وصول معادلة

التصرف (Characteristic Equation) لصلابة العمود قيمة الصفر، وعندما تكون القوة المسلطة للمقادير المميزة: ح، ٣ح، ٥ح، ...الخ، يصبح الجذر الكامن (Latent Root or Eigen Value) لهذه المعادلة مساوياً للصفر. وهكذا فمساواة الجذر الكامن قيمة الصفر يُجبر العمود ن يتصرف بحياد ويصيبه التشعب. وليس علم دراسة التشعب او الجذور الكامنة مقتصرة على الهندسة. فالتذبذب (اي الزلازل والموسيقى والرنين) هو ايضاً جزء من هذا العلم. وفي الحقيقة ان الجذور الكامنة تفسر استقرار كل الاشياء وتفسر عدم استقرارها وتشعباتها وفواجعها. ثم ان دراسة الجذور الكامنة تستخدم الآن في دراسة المجموعات البشرية لتمييز خواصها وتصرفاتها الصحية والذهنية والاجتماعية. لقد تم تعميم هذا العلم ليصبح علماً كاملاً قائماً بحد ذاته تحت اسم نظرية المصائب. وقد تمكن الرياضي كريستوفر زيمنز من تفسير سير الحوادث في الحرب الڤيتنامية بها.

وهكذا نرى بان النظرية تحوي كل ما اقترحته المادية الجدلية، اذ ميزت الصراع والتناقض والتطور عن طريق حدوث التبدلات الجوهرية. ولكن المادية الجدلية تصف تصرفات العمود المتقلص والعمود الذي يلتوي فجأة بكلمات متشابهة،**عمومية**، لا يتعدى "التطور عن طريق صراع المتناقضات حيث يحدث التغير نتيجة للتطور" ولكن نظرية المصائب تتعدى الوصف البدائي هذا لتظهر تفاصيل اكثر وادق وتركز خاصة على

اللحظة التي تحدث فيها التغيرات الكيفية (كالثورات) والظروف الذاتية التي يحدث فيها التغير الكيفي ولها مقياس مضبوط لتشخيص وحساب لحظة التغير (حين تصل طاقة الاجهاد صفراً، او حين يكون الجذر الكامن لمعادلة التصرف صفراً). كما ان النظرية تؤكد وتبرز الانشقاقات والفروع والتشعبات الممكنة، كلها، وتجزم على كل واحدة منها بدقة. ثم انها تؤكد على ان الانتقال من ظرف الى ظرف آخر يحتاج المرور بنقطة التوازن المحايد حين تكون الطاقات المقاومة للتحول صفراً.

وباستخدام هذه النظرية يمكن تعريف الحوادث الفجائية، كالثورات الاجتماعية (ولو اننا لا ننوي ان نطبق هذه النظرية تطبيقاً ميكانيكياً على هذه الحالات) فمثلاً يمكن تعريف الثورة بالحالة التي يصل فيها الجذر الكامن لمجموع (Matrix) صلابة الطبقات الاجتماعية وكتلتها قيمة الصفر. ويمكن قياس صلابة طبقة ما بقوتها واسلحتها ومعنوياتها وقياس كتلتها بعدد جيوشها وامكانياتها العددية والاقتصادية. والنقطة المهمة التي تحتاج التركيز والتذكير هي ان وصول الجذر الكامن قيمة الصفر قد تؤدي الى تغير فجائي وقد ***لا تنتج اي تغير*** في مجرى الامور.

وكالعادة نجد المؤسسات الاستعمارية تطبق النظريات العلمية الجديدة في مراقبة ودراسة التغيرات الاجتماعية لتسيطر عليها قبل حدوث الثورات، بينما تسعى لعرقلة امكانية تطبيقها من قبل الثوريين. اذ انها لا تريد الثوريين ان يستفيدوا من الابداعات العلمية الحديثة.

{بل اكثر من هذا تعمل المؤسسات الاستعمارية ان تخدع الشعوب المقهورة بغية الضحك على ذقونها وحرف اتجاهاتها الثورية عن طريق الهاء الشعوب بالكلام الفارغ حول *الديمقراطية* او *التعددية* وما شاكل ذلك من التلميحات الفاسدة، كما فعل المستعمرون الانكلو - امريكان بالمعارضة العراقية في الخارج حتى تمكنوا من شراء ضمائر هذه المعارضة **بحجة الاستفادة من العامل الدولي**}. ومعنى كل هذا ان الرجعية استفادت من العلوم الحديثة قبل الثوار المحرومين، على عكس ما كان يرغب ماركس من حدوثه.{لم اشر في هذه المقالة الى نظرية الفوضى، الرياضية (Chaos Theory) اذ انها مرتبطة ايضاً بنظرية المصائب الى درجة ان بعض العلماء يعتبرون نظرية المصائب (التشعب) كحالة خاصة لنظرية الفوضى. ولهذه النظرية ايضاً نتائج اجتماعية مهمة وخلاصتها هي ان معلوماتنا الحالية في لحظة ما لا ترشدنا الى استنباط المستقبل وان دراسة سير الامور بالاعتماد على الثوابت والمتغيرات التي نعرف تصرفاتها في الوقت الحاضر قد لا تدلينا الى ما سيحدث في المستقبل البعيد، وذلك لأن اي تغير طفيف في احدى هذه المتغيرات او الثوابت قد يؤدي، بالتالي، الى الفوضى.(لتفاصيل نظرية الفوضى راجع Edward N. Lorenz, The Essence of Chaos, UCL Press).

غالباً ما يستخدم العلماء والمفكرون الرجعيون نظرية الفوضى باسلوب ،معوّق، متخلف لغرض فرض الانحلال والانحراف ثم التفسخ

(Degeneration) في اسلوب التفكير والتصرف. فگيدينز ،-A. Gid, dens ، مثلاً، ذلك القطب الاجتماعي العريق في الرجعية، البروفسور في علم الاجتماع Sociology في جامعة كمبريج سابقاً ورئيس مدرسة لندن للاقتصاد LSE حالياً والمرشد الروحي لتوني بلير، رئيس وزراء بريطانيا حالياً، يلتمس بنظرية الفوضى للادعاء بأن الفروق بين اليمين واليسار قد تم محوها ،فلا يسار ولا يمين في السياسة الآن بل هناك المقاييس الظرفية الصحيحة او الخاطئة، بل وحتى التعددية التي كان يتشدق بها لسنوات قد انقرضت واصبحت بالية ليحل محلها ما يسميه ب «الطريق الثالث»، بل يؤكد ايضاً على ان العولمة ظاهرة خرجت من سيطرة الانسان وان قوى السوق هي التي تقرر كل شئ ونحن لا نملك السيطرة عليها، بل ان الماركسية لا تستطيع استنباط الاشتراكية في المستقبل ذلك لان نظرية الفوضى ترفض جزم المستقبل عن طريق الاعتماد على معلوماتنا في الوقت الحاضر.وهنا بيت القصيد. لقد لعب گيدنيز وامثاله دوراً فعالاً لازالة المصطلاحات الماركسية من الاستخدام اليومي عن طريق استعمال كلمة "العولمة" بدل الاستعمار او الامبريالية او استخدام كلمة النخبة بدل الطبقة بل بوصف اعادة جدولة الديون المفروضة على كاهل الشعوب المنكوبة بالليبرالية الحديثة او التعديلات الهيكلية بغية ذر الرماد في عيون الشعوب . بل ذهبوا الى ابعد من كل هذا حين وصفوا غورباجوف باليساري ومناوئيه باليمينيين !}.

٥ - علم التخطيط

لم يتعدى ما ذهب اليه لينين في علم التخطيط سوى التعاريف الاولية. اذ ميّز بين الهدف (الستراتيجية) والخطة (التاكتيك) مع تعريف كل منهما وضرب الامثلة لتوضيح الفرق بينهما. وبلا شك كانت البداية هذه تقدماً الى الامام في وقت كانت الحركات السياسية تتخبط في الفوضى. ان اول انتاج في علم التخطيط كان من قبل العالم الرياضي السوڤياتي كانتوروڤيج سنة ١٩٣٩ ونشرت بحوثه في المجلات العلمية السوڤيتية. لقد ادرك ستالين عبقرية كانتوروڤيج واستعمل نظرياته اثناء الحرب العالمية الثانية في تخطيط العمليات العسكرية. وخلال نفس الحرب جمعت الحكومة الريطانية عدداً من العلماء، وكان بينهم ماركسيون مثل هالدن وبلاكيت. واسندت اليهم مهمة تخطيط العمليات العسكرية بصورة علمية باختيار الاهداف الحربية وترتيبها حسب اهميتها ومن ثم ايجاد اسرع الطرق وارخصها للسيطرة على هذه الاهداف. ولهذا يطلق على علم التخطيط اسم "بحث العمليات" اذ كان البريطانيون يقومون بالبحث العلمي لتنظيم العمليات العسكرية. وفعلاً وباستخدام الفطرة استنبطوا ما يسمى الآن بمسألة التنقلات (Transportation Problem) وهي طريقة لنقل عدد من المواد والاعتدة من مخازن معينة ثابتة بارخص كلفة الي عدد معين آخر من المواقع

المحتاجة لهذه الاعتدة.

وفي سنة ١٩٤٥ تمكن العالم الرياضي الامريكي دانزيك ان يشتق البرمجة المستقيمة (Linear Programming) وهي طريقة للوصول الى الغاية القصوى في مسألة محصورة ضمن حدود وشروط ثابتة لا يمكن اختراقها لأن ذلك يؤدي الى الوصول الى حلول مرفوضة غير عملية. واثبت دانزيك اول ما اثبت:

١ - ان هنالك، رياضياً، ما لانهاية من الحلول لكل مشكلة او مهمة. وبين هذه الحلول هنالك حل واحد فقط يمكن ان يكون الحل الامثل بالقياس الرياضي المضبوط.

٢ - ان هنالك طريقة رياضية يمكن اتباعها للوصول الى هذا الحل الامثل. وان عدد الخطوات اللازمة لذلك محدود ولا تعتمد هذه الخطوات على التجربة والخطأ.

٣ - وفي مفترق الطرق. حين تظهر اتجاهات مختلفة للسلوك، فمن الممكن، مقدماً، اكتشاف واتخاذ الطريق الامثل للوصول الى الهدف باقصر السبل

{ يعتقد تومسون المذكور اعلاه بان اتخاذ الحل الامثل كالحل المقبول و الاخير قد يكون خطراً ذلك لأن هذا الحل الامثل يحدث عند ملتقى مختلف الحواجز، حيث يلعب اكثر من عامل واحد دوره، وبالتالي قد يكون معرّضاً لتجمع مختلف الاسباب التي تولد الانتكاسة الفجائية

حسب نظرية التشعب.}

ان طريقة دانزيك للبرمجة احدث تغيراً جذريا، بل ثورياً، في عملية الانتاج في كل معمل ومزرعة ومعسكر. وسرعان ما تعدت الى حل البرامج المنحنية (Non - Linear Programming) وذات النهايات القصوى المتعددة بينها الحل الامثل. كما انها انتقلت الى كل العلوم المدنية والعسكرية. وقد قمتُ بتطبيق البرامج المنحنية في التصميم الهندسي (راجع كمال مجيد ,Optimum Design of Structures (Newnes - Butterworths, Lndon 1974) وقد تم ترجمة هذا الكتاب بسرعة الى اللغات الروسية والصينية والپولونية، مما يدل على اهتمام البلدان الشرقية بالموضوع.

٦ - علم التخصص والخبرة Expert sytem

ويقوم هذا العلم بجمع مجموعة هائلة من خبرات الاخصائيين في موضوع من المواضيع (كالطب او الهندسة او الحرب) داخل الحاسبة الالكترونية ومن ثم تقوم الآلة باستعمال علم الخرائط (Mapping) لجمع الخبرات المخزونة وخلطها ودراسة التداخل بين الخبرات وبالتالي اسخراج استنتاجات ارقى من الخبرات الجزئية التي يملكها كل واحد من الاخصائيين. وكلما انتج الخبير او الاخصائي خبرة جديدة اضيفت الى

الحاسبة لاغناء خبرتها. وهكذا اصبح بالامكان جمع الخبرات ونقلها من جيل لجيل. واصبح بالامكان استخلاص خبرة ارقى مما يتوصل اليه الفرد الواحد.

ملاحظات واستنتاجات

قبل الاشارة الى النتائج التي يمكن استخلاصها مما سبق لا بد من الاشارة الى نقطتين:

١ - ان العلوم المذكورة اعلاه يخدم بعضها البعض وكل واحد منها يعمل على تطوير العلوم الاخرى. فمثلاً يستخدم علم المجاميع في علم الحاسبة الالكترونية وفي علم التشعب والتخطيط. ويستخدم علم التخطيط وعلم الخرائط في علم التخصص وذلك للوصول الى الخبرة المثلى. { هكذا ظهر فرع جديد يطلق عليه «تقنية المعلومات Information Technology». } . وبالعكس يستخدم التخصص لتطوير علم التخطيط وهكذا تولّد ارتباط دياليكتيكي بين هذه العلوم.

٢ - ان كل علم من هذه العلوم قد تطور الى حد بعيد بحيث لا يستطيع الفرد الواحد فهم كل جوانب وفروع هذه العلوم. وهنا نود ان نعرض بعض الاستنتاجات:

١ - ان تطور العلوم الحديثة وتطور الواقع المادي نتيجة لذلك لم يجد انعكاسه في الماركسية المعاصرة.وسوف نذكر عدداً من الاسباب فيما بعد

٢ - ان العلوم الفلسفية امتداد للعلوم الطبيعية كما يؤمن بذلك ماركس {لاحظ ما اقتبسنا من لينين اعلاه في هذا الصدد}. فاصبح الآن من الصعب ان يظهر فلاسفة لا يفهمون العلوم. اذ ان المراحل الاولى من الفلسفة العلمية (المادية الجدلية) المبنية على ملاحظة المجتمع، عمومية، وغير كافية او دقيقة في تفسير التطورات السريعة التي تجري في المجتمع نتيجة لتطور الواقع الاجتماعي بسرعة لا يستطيع فهمها وتغييرها من لا يدرك دقائق الامور ولا صلة له بالعلوم التي تنتج التبدلات الاجتماعية هذه. اي ان الفلسفة اصبحت الآن مقتصرة على العلماء اكثر من الاجتماعيين. ثم ان علوم الرياضيات والفلسفة والفيزياء قد اختلطت الى درجة نكاد نكون غرباء عنها ولهذا ظهر الرياضي برتراند رسل كفيلسوف ولم يظهر فيلسوف اجتماعي بمستواه.

{وبهذا الخصوص يقول لينين (نفس المصدر١، الصفحة ١٢):

«ان المادية الدياليكتيكية "لم تعد بحاجة لأية فلسفة تفرض نفسها، وتقف فوق العلوم الاخرى". ومن الفلسفات السابقة لم تبق سوى "علم الافكار وقوانينه - اي المنطق الصوري(Formal Logic)والدياليكتيك.»

بينما يذهب البروفسور الرياضي المشهور سيڤن هوكينز ابعد من لينين ويقول في كتابه(راجع ٦ A Brief history of Time, Bantam Press, London 1988 الصفحة ١٧٥،نقلاً عن الفيلسوف المشهور ڤيتگينشتاين Wittgenstein: «ان المهمة الوحيدة الباقية للفلسفة هي تحليل اللغة»

اي Linguistic}.

٣ - ان المخترعات كلها ادت الى تقليل دور العامل الماهر في عملية الانتاج وازداد دور المخترعين والمختصين. ولا حرج في ذلك، فماركس اشاد بالانتاج العضلي والمخ عضلة كالذراع. فانتاج الدماغ اصبح الآن اهم من انتاج السواعد لا غير. سوى ان هذا التحول في دور الاعضاء البدنية قد احدث مشكلة البطالة العامة بين العمال اليدويين في البلدان الرأسمالية.

٤ - ازدياد دور الآلات في الانتاج، دون العمال، كما اشرنا الى ذلك فيما سبق.

٥ - ان الغريب هو عدم تحول العلماء الى پروليتاريا مستَغلين الى حد ما. ذلك لأن العلماء ادركوا بأن اختراعاتهم تجلب كميات هائلة من المال لمن يستخدمها، ولهذا رفضوا تسليم مخترعاتهم للرأسمالي الجاهل، بل تحولوا هم الى رأسماليين يملكون معامل الانتاج. ولعل اشهر مثال على ذلك هو سنكلير، مخترع الحاسبة الالكترونية التي تحمل اسمه. اي ان العلماء استفادوا، شخصياً، من مخترعاتهم وتحولوا الى رأسماليين اغنياء. فليس غريب اذن ان نجد دانزيك(مخترع علم التخطيط في امريكا) مديراً لمؤسسة راند التي تقوم باستخدام علم التخطيط لرسم سياسة الحكومة {وخاصة سياسة وكالة المخابرات المركزية C.I.A}. وهكذا نرى الشخص نفسه يحتكر الاختراع والانتاج والتمويل والادارة.

الفصل الرابع
اسباب عدم تطور الماركسية

ان حصر الاسباب التي منعت الماركسية في الستين سنة الماضية، بعد وفاة لينين، عن التطور يحتاج الى دراسة مفصلة على شرط توفر المعلومات للباحث. وهذا امر صعب لأن معظم المعلومات سرية. ومع هذا دعنا نشير باختصار الى بعض الاسباب هنا وسوف ندخل في موضوع «التحريفية المعاصرة» في الفصول الجديدة من هذا الكتاب.

١ - انقطاع الماركسيين عن العلم كما ذكرنا سابقاً. وهذا هو الحال خاصة عند ماركسيّ الشعوب المظلومة التي تحتاج افكاراً جديدة لثورتها.

٢ - شراسة الاستعمار في محاربة الماركسية والثورات. اذ من المعتاد ان يعمل الاستعمار والرجعية قبل قيام الثورة على محاربة كافة الافكار الثورية، الماركسية او غيرها. وإن فشل في ذلك وقرر شعب ان يثور ضد الظلم والحرمان، عندئذ يستخدم المستعمرون الخطوات التالية لافشال الثورة واعادة سلطانهم:-

أ - محاربة الثورة والعمل على عدم نجاحها كما حدث في الملايو والفلپين وبورما واليونان (سنة ١٩٤٨) وظفار وفلسطين ولبنان ولاووس وكمبوديا والصحراء الافريقية وثورة جيڤارا في بوليڤيا. وان فشل الاستعمار في اخماد الثورة ونجحت الثورة فـ:

ب - اسقاط الحكومة الثورية قبل ان تستطيع الاستقرار والسيطرة على زمام الامور كما في گواتيمالا ونيكراگوا والجزائر وغانا ومصر والسودان والصومال والكونغو واوغاندة والعراق وايران واليمن واندنوسيا وكوريا وكوبا وڤيتنام والاتحاد السوڤيتي (في ١٩١٨ وفي ١٩٤١) والمجر في ١٩٥٦، راجع القسم الثاني، وانغولا وغيرها من الشعوب المظلومة في العالم الثالث. وان فشل الاستعمار في ذلك فـ:

ج - مقاطعة الحكومة الثورية واحاطتها وحصرها وعزلها ومنع الثورة من الانتشار حسب نظرية "الومنة" ومن ثم اجبارها على الرضوخ والاحتواء والقبول بفتح ابواب البلد للاستعمار من جديد، وان فشل الاستعمار في ذلك فـ:

د - استخدام الطرق السلمية للدخول الى البلد الثائر بعد مدة طويلة من المحاصرة ومن ثم افسادها من الداخل وكذلك من الخارج عن طريق الاتفاقيات التجارية والثقافية والتعايش السلمي والوفاق الدولي، كما حدث مع الاتحاد السوڤيتي وبلدان اوروپا الشرقية. واخيراً:

هـ - تصدير الرأسمال اليها كالعادة، لغرض الحصول على اقصى الارباح كما اكد على ذلك لينين، وذلك باسم المعونة او بناء المشاريع الضرورية واستخدامها كسوق جديد للبضائع الاستعمارية، ومؤخراً تمكن الاستعمار الغربي من تصدير كميات هائلة من الرأسمال، لغرض الحصول على اقصى الارباح (١٠٪ سنوياً حسب جريدة التايمز اللندنية ليوم

١٩٨٣/٥/٦) باسم المجاز المشاريع "المشتركة" Joint Ventures الى الصين وكوريا الشمالية وفيتنام والاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية. والجدول رقم (١) يبين الديون التي كانت متراكمة كما نشرتها جريدة الگارديان اللندنية ليوم ١٩٨٢/١٢/٣٠. فمثلاً، كانت كوبا وحدها مدينة، سنة ١٩٨٢، الى الحكومة البريطانية بمقدار اربعة آلاف مليون دولار مع ارباحها البالغة اربعة مئة مليون دولار سنوياً، الامر الذي اجبر الحكومة الكوبية على ايفاد وزيرها الى لندن للمفاوضة مع الحكومة البريطانية لتقليل النسبة المئوية للارباح التي لم تتمكن كوبا تسديدها. وقد تم هذا خلال ربع قرن اي منذ الثورة الكوبية في ١٩٥٩.

٣ - كتم المعلومات العلمية {بل الاقتصادية والسياسية} وحصرها للفائدة الذاتية او الوطنية او الطبقية. فمثلاً يستخدم الاستعمار علوم التخطيط لغرض سيطرته على العالم واستغلال ثرواته. وهنالك اركان عديدة لعلم التخطيط تنشر بصورة سرية فقط لكي لا يستعملها العدو او اى من الشعوب المظلومة. كما يستخدم الاتحاد السوفيتي هذه العلوم لتنظيم سياسته. اما الشعوب المضطهدة واحزابها المناضلة فلا يعرف قادتها او قواعدها شيئاً يذكر من المعلومات وليس لديها المخترعات العلمية للدفاع عن نفسها او الهجوم على العدو المسيطر على ساحة المعركة. ولذا اقتصرت معظم الثورات، الناجحة او الفاشلة على استخدام الوسائل البدائية في الكفاح كالثورة الصينية والايرانية والفيتنامية. ان

الجدول رقم (١)

الديون المتراكمة على الشعوب (بلايين الدولارات)

البلد	مقدار الديون	البلد	مقدار الديون
البرازيل	٨٩	الهند	١٧
المكسيك	٨٥	اندنوسيا	١٦,٥
كوريا الجنوبية	٣٩	فليپين	١٦
الارجنتين	٣٨	پيرو	١١
العراق	٣٠	اكوادور	٦,٥
ڤينيزويلا	١٨,٥	ساحل العاج	٥,٥
الجزائر	١٨	زايير	٥
تركيا	١٧	السودان	٤
شيلي	١٧	كوستاريكا	٣
مصر	١٧	زامبيا	٢,٥
نيجريا	١٧	بوليڤيا	٢,٥
الصين	٣٠	پولندة	٢٥,٥
الاتحاد السوڤيتي	١٩,٥	يوغسلاڤيا	١٨
المانيا الشرقية	١٣,٥	رومانيا	١٠
ڤيتنام	٣,٥	البانيا	صفر

مجموع ديون المعسكر السوڤيتي = ١٢٠بليون ، الربح السنوي =١٢ بليون

المجموع الكلي للديون في ١٩٨٣ = ٥٩٥ بليون ، الربح السنوي= ٥٩,٥ بليون

السلاح الرئيسي لهذه الثورات كان حاجة الشعوب الى الثورة مما جعل التضحيات ان تكون جسيمة.

وقد تطورت كتم المعلومات الى كتم المعلومات السياسية، فمثلاً اننا لا نعرف عما يجري في اللقاءات والمباحثات المستمرة بين قادة الدول الكبرى. ولوجود الخط الحار (Hot line) لنقل الرسائل السرية بين واشنطن وقادة الاتحاد السوفياتي في موسكو اثناء الازمات الحادة، تبقى شعوب العالم (بضمنهم الشعبين الامريكي والسوفياتي جاهلة عما يجري بين الحكومتين. واخيراً توقفت الاذاعات والصحف في كل انحاء العالم حتى من الاشارة الى الخط الحار واصبح حتى وجود هذا الخط سراً منسياً. كما ان معظم بنود معاهدة الوفاق الدولي مجهولة لدى الشعوب. اي ان ماركسي وثوار الشعوب لا يعرفون ما تعرفه امريكا!

٤ - ظهور التناقض الحاد بين الماركسيين انفسهم وانشقاق الحركة الشيوعية التي تتبنى الماركسية. وهكذا وجدنا الماركسيين الصينيين يختلفون مع السوفيات وهؤلاء يختلفون مع الالبان وهم بدورهم مع اليوغسلاف والكل فيما بينهم. وكل الاحزاب الحاكمة في اوروبا الشرقية اختلفت مع شيوعيي فرنسا وايطاليا واسپانيا [الذين تبنوا ما تسمى بالشيوعية الاوروبية (الاورو شيوعية)] وهكذا. ولعل هذا مثل من علم التشعب ونظرية المصائب. ام انه مثال في انتشطار الواحد الى الاثنين (الضدين) كما طرحه ماوتسي تونغ. وخلال هذا الخلاف نجد الماركسيين

يتهمون بعضهم البعض بنقض الماركسية وعدم التمسك بها وحتى بالخيانة العظمى واحياناً تصل الخلافات حد المصادمات العسكرية، بينما لا يعمل واحد منهم على تطوير الماركسية بدل استخدامها كسلاح للشتيمة. كل هذا في حين تئن الشعوب المظلومة من آلام الاستغلال الاستعماري ومن الجوع والمرض والحروب الاهلية والمحلية.

ولعل هذا الانشقاق ناتج حتمي للظروف المختلفة للاحزاب الماركسية. فالاحزاب الموجودة في العالم الثالث تُحارَب من قبل الرجعية والاستعمار بشدة وفضاعة في حين نجدهم يتأثرون بخلافات الاحزاب الماركسية الحاكمة في اغلب الاحوال، فنجدهم يقعون، نتيجة لذلك، في اخطاء جسيمة بضمنها التطوع للتعاون مع العدو الطبقي الحاكم في جبهات كارتونية باسم "التطور اللارأسمالي"، { وسنرى تفاصيل ذلك بخصوص العراق في فصل آخر}، وحين يفشلون في عملهم هذا نجدهم يغطون على اخطائهم او يعللونها بكلمات ماركسية مزركشة كما حدث في العراق والهند واندنوسيا. ولهذا نجد الشعوب قد انصرفت عن هذه الاحزاب التي انتكست وانشقت.

اما الاحزاب الماركسية الحاكمة فاصبح قادتها، لا قادة ثورة لشعب مظلوم، بل قادة حكوميين. وهناك فرق كبير بين الدورين. فالقائد الحاكم لا يشعر بالاضطهاد والاستغلال (اي انه متأثر بظروفه المحيطة به وهو كغيره خاضع لقوانين الدياليكتيك). ويقضي قادة الاحزاب الحاكمة معظم

وقتهم بادارة الاعمال وتصريف شؤون الدولة الادارية. كما وظهرت بين هؤلاء القادة ظواهر غريبة تحتاج الى البحث الموضوعي المستقل قبل الوصول الى استنتاج معقول. فلنضرب مثلاً عن بعض قادة الاتحاد السوفيتي:

فستالين، مثلاً، قاد الشعب السوفياتي وحزبه منذ مرض لينين سنة ١٩٢٢ حتى وفاته سنة ١٩٥٣، اي اكثر من ربع قرن بنى خلاله النظام السوفياتي ودافع ضد العدوان الغربي في بداية الثورة حين احتلت الجيوش الغربية ٤/٥ البلاد وقاد بلده ضد الغزو الهتلري في الحرب العالمية الثانية التي فقد فيها السوفيات ٢٩ مليون قتيل. وانتهت هذه الحرب بانتصار الشعوب السوفيتية وتحرير اوروبا الشرقية وقسم من المانيا من السيطرة النازية. وطور الاتحاد السوفياتي الى بلد متقدم علمياً وصناعياً يملك الاسلحة الذرية وصواريخ عابرة القارات. وتغير الاتحاد السوفياتي من بلد متأخر معروف بالرجل المريض في اوروبا الى ارقى بلدان العالم واولها في صنع الاقمار الصناعية. كل ذلك بالرغم من حصار الغرب وستاره الحديدي ومقاطعة التجارة مع السوفيات. وقد شارك ستالين في هذا العمل اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية. وبلا شك انشغل هؤلاء بالشؤون العسكرية ومشاكل الحروب واغاثة اكثر من خمسين مليون من المنكوبين والقضاء على المجاعات وادارة مشاكل ملايين اخرى من اليتامى والثكالى والمعوقين، ومن ثم بناء المجتمع

السوفياتي المتقدم. كل هذا عرقل تركيزهم على تطوير الماركسية.

ولكن الغريب جداً ان يخرج المؤتمر العشرين (بعد وفاة ستالين) لابوصف ستالين (ورفاقه) بالقائد العبقري، [مثلما كانوا يصفونه حين كان حياً] بل اتهامه بالمجرم الظالم الذي قتل المئات من اعضاء حزبه على اقل تقدير ! وقد قرر المؤتمر الثاني والعشرين بان ستالين يستحق ان تحرق جثته بعد عشر سنوات من وفاته ! وقد حرقت جثته فعلاً اثناء المؤتمر وترك رماده في موقع حقير.

وفي سنة ١٩٥٧ خرج خروشوف ليتّهم عدداً كبيراً آخراً من اعضاء المكتب السياسي بالخيانة وطردهم من الحزب او قتلهم وبين هؤلاء رؤساء للوزارة والجمهورية ووزراء دفاع وداخلية وخارجية ومن قادة الثورة البلشفية مثل بيريه ومولوتوف ومالنكوف وفوروشيلوف وشپيلوف وزوكوف وبلغانين وكاكانوفيج وعدد آخر من اعضاء اللجنة المركزية بل وحتى عدد كبير من الذين حضروا المؤتمر العشرين كوفود يمثلون فروعهم في الحزب من مختلف ارجاء البلاد.[سنعود الى هذا الموضوع بتفصيل اكثر في القسم الجديد من الكتاب عند دراسة موضوع التحريفية المعاصرة وذلك لأهميتها.]

ونحن هنا لا ننوي الدخول في مناقشات جانبية عن صحة هذه الاعمال او خطائها (ولو اننا نملك كل الحق والقابلية للقيام بذلك) ولكننا نكتفي بالاستنتاج:- ان كان ستالين وهؤلاء القادة الآخرون خونة ومجرمين فلا

يمكنهم تطوير الماركسية. ولفشل القادة الآخرين [امثال خروشوف وبرجنيف ورفاقهم] من انقاذ حزبهم وشعبهم من ستالين ورفاقه لاكثر من ربع قرن فانهم عديموا الجدارة على اقل تقدير. فلا يستطيع هؤلاء تطوير الماركسية ايضاً. دعنا نتذكر بأن الانسان (وحتى القادة) هو نتاج الظروف التي يعيش فيها كما تدعو الماركسية، وربع قرن من الظروف ثبّتت شخصيات القادة الآخرين.

اما خروشوف فيمكننا ان نلخص ابداعاته الماركسية كما يلي:

أ - الاقتراح بأن «الازرار التي تربط السروال هي اسلحة ستراتيجية» اذ قال سنة ١٩٦٢ بأنه «لولا هذه الازرار لسقط سروال الجندي اثناء القتال فلا يستطيع الجندي القتال» وعمق هذا الاقتراح غير مفهوم عند بسطاء مثلنا !

ب - الاقتراح بأن «التأريخ سوف يثبت امكانية الاتحاد السوڤياتي ان يصنع الالبسة الداخلية للنساء بألوان ارقى واحلى من الالوان الموجودة في الاسواق الغربية». وقد قال ذلك في اجتماع عام وهام في موسكو مباشرة بعد عودته من الولايات المتحدة ومقابلة مع ايزنهاور ونقلتها الصحف.

ج - نزع حذائه في جلسة لهيئة الامم المتحدة في نيويورك (حين كان يقود وفد بلاده) لضربها على المنضدة مع استخدام الكلمات البذيئة للهجوم على الوفد الاسپاني. ليت شعري هل انتجت الظروف السوڤياتية

هذا القائد !

لقد حكم هذا الرجل الاتحاد السوفيتي وقاد حزبه كالسكرتير الاول منذ سنة ١٩٥٣ الى ان تم طرده سنة ١٩٦٤. فكيف يمكن للماركسية ان تتطور بين ١٩٢٤ و١٩٦٤ ؟ اي خلال اربعين سنة من حكم ستالين وخروشوف.

٥ - انعدام الاممية والتعاون الاممي نتيجة للانشقاقات من جهة والحلول القومية محل الاممية. وهنا نستطيع ضرب ثلاثة امثلة:

أ - ان تركيز الحركة الشيوعية على الدفاع عن الاتحاد السوفياتي، اول بلد اشتراكي في العالم. كان مفهوماً لعزم الاستعمار على اسقاط الشيوعية في هذا البلد. ولكن التركيز استمر حتى بعد وصول الاحزاب الشيوعية الى الحكم في عدد كبير من البلدان، وان قراءة المناقشات الحادة التي جرت داخل الاحزاب الشيوعية، ايام سيطرة خروشوف على الحزب السوفيتي تبين رفض عدد من الاحزاب لهذه الفكرة وحتى رفض قيادة الحزب السوفيتي للاحزاب الاخرى. وبلغ الحماس الى درجة اتهام السوفيت بشوفينية القومية العظمى. وامتاز الحزبان الالباني والصيني بهذا الحماس، بينما ضجرت الاحزاب الشيوعية في اوروپا الغربية من المناقشة كلها وقررت عدم قبولها لفكرة القيادة السوفيتية وانصرفت عنها وحتى عن التعاون مع الاحزاب الشرقية. ثم ذهبت الاحزاب الغربية الى اصدار القرارات الحزبية للهجوم على موقف السوفيات في

چيكوسلوڤاكيا سنة ١٩٦٨ وپولندة في يومنا هذا. {المقصود هو اثناء ظهور حركة سوليدارنوس الرجعية في پولندة،برعاية الپاپا جون پول الثاني ،الپولندي الجنسية، ووكالة المخابرات المركزية .C.I.A الامريكية وبقيادة ليخڤوينزا Lechwalesa الذى اصبح رئيساً للجمهورية بعد انهيار الحكومة الموالية للاتحاد السوڤيتي.}

ب - اما الحزب الشيوعي الصيني فان مظاهر القومية قد ظهرت فيه اثناء الثورة الصينية حيث الحّ على الانفراد في تطبيق الماركسية الخاصة بالصين. ثم تطورت الفكرة الى ان اصبحت القومية الصينية الصبغة الطاغية على سياسة الحزب. وهذه الصفة ادت في الاخير الى وضع الصين في احضان الامريكان من جهة والهجوم العسكري على ڤيتنام من الجهة الاخرى.

ج - حرص الاحزاب الشيوعية في اوروپا الغربية على المشاركة في الحكم مع الاحزاب الرأسمالية المستعمِرة لشعوب العالم، و الاعضاء في الحلف الاطلسي، وقد اشتد هذا الحرص الى حد التعاون مع "قداسة" الپاپا في ايطاليا تحت شعار «المساومة التأريخية». وقيام الحزب الشيوعي الفرنسي بالمشاركة في الحكم الذي يقوم بتسليح بعث العراق لمحاربة الثورة الايرانية والشعب العراقي. ولم يعبأ هذا الحزب حتى لكون الحزب الشيوعي العراقي "الشقيق" قد رفع السلاح ضد البعث، ولم يقدم الوزراء الشيوعيين في الحكومة الفرنسية استقالتهم من الحكومة ليثبتوا انهم

لا يتفقون مع سياسة تسليح البعث. بل خرج التقييم الاخير (نيسان ١٩٨٣) للحزب الشيوعي الفرنسي للحكومة الفرنسية كسند كبير للحكومة الاستعمارية وللحزب الاشتراكي الى درجة استغرب من التقييم حتى الصحف الغربية.

كما هاجمت الاحزاب الشيوعية في اوروبا الغربية فكرة ديكتاتورية البروليتارية التي اقترحتها الماركسية واللينينية بحجة عدم ملائمة هذه الفكرة للديمقراطيات الاستعمارية في الغرب وبحجة انها تعرقل تعاون هذه الاحزاب مع انتهازيي الاممية الثانية الذين يحكمون الدول الاستعمارية بين الحين والحين.

هكذا نجد فكرة التعايش السلمي والوفاق الدولي مع الاستعمار تطغي على فكرة التناقض وصراع العدو الطبقي واسقاطه بالقوة، بينما اشتركت الاحزاب "الماركسية" الحاكمة في الشرق والاحزاب "الماركسية" في اوروپا الغربية في تنكيس شعار «يا عمال العالم اتحدوا ! ».

× × ×

هنا تنتهي المقالة «نواقص الماركسية المعاصرة واسباب عدم تطورها». سأقوم في الجزء الثاني من هذا الكتاب بدراسة مفصلة للتحريفية المعاصرة التي لعبت الدور الرئيسي في شق الحركة الشيوعية العالمية والتي انتهت بانهيار الاتحاد السوڤياتي. كما سأبين الاثر المخرب لهذه التحريفية على الحركة الشيوعية في العراق. ثم اقترح، كخاتمة للجزئين،

مستلزمات حركة التحرر العالمية ،كمساهمة لتوحيد هذه الحركة والسير بها لقهر الرأسمالية والاستعمار وكلي امل بان القارئ الكريم يشاركني في العمل نحو تحقيق هذه المهمة النبيلة.



القسم الثاني

التحريفية المعاصرة

ماقبل التحريفية المعاصرة

مصدر التحريفية

ماذا عمل التحريفيون

تحريفية برجنيف

اثر التحريفية على الشعب العراقي

حاضر حركة التحرر العالمية ومستقبلها



الفصل الخامس

التحريفية المعاصرة

لكل شئ نقيضه ونقيض الثورة وحرب الانصار هو التحريفية التي تؤمن بالطرق السلمية في حل المشاكل الاجتماعية. لقد ظهرت التحريفية في الحركات العمالية "الاشتراكية الديمقراطية" قبل الحرب العالمية الاولى . وقد اطلق عليها هذا الاسم لكون النظريات العُمالية التي قدمها قادة الحركة من امثال كارل ماركس وفريدريك انكلز كانت تؤكد على العنف الثوري للقضاء على الطبقة الرأسمالية الحاكمة. فظهر قبل الحرب العالمية الاولى منظرون يدّعون الماركسية ولكنهم يؤكدون على نبذ الثورة والعنف الثوري والتركيز على استلام السلطة بالطرق البرلمانية.

ان السبب الرئيسي لتخصيص فصل كامل للتحريفية المعاصرة هو انها نجحت لا في القضاء على الاتحاد السوڤياتي والمعسكر الاشتراكي فحسب بل لأنها عرقلت الحركة التحررية العالمية، بما في ذلك حركات التحرر التي لم يكن للشيوعيين نفوذ فيها، بل فسحت المجال للعنف الدولي، بقيادة الولايات المتحدة، ان يحطم الشعوب ويفرض الطغاة عليها لمدة طويلة من الزمن.

وكلمة المعاصرة اطلقها الصينيون والالبان على التحريفية السوڤياتية، التي قادها خروشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١) وبرجنيف (١٩١٦

- ١٩٨٢) بغية تمييزها عن التحريفية القديمة لبرنشتاين (١٨٥٠ - ١٩٣٢) وكاوتسكي (١٨٥٤ - ١٩٣٨).

لقد امتازت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بازدياد حركة معاداة الشيوعية والتي قادتها الولايات المتحدة حين تشكلت لجنة برئاسة السناتور مكارثي (١٩٠٩ - ١٩٥٧) سنة ١٩٤٧ لمكافحة «الاعمال المعادية لامريكا «Un American Activities» والتي جلبت المشتبهين بالشيوعية لمحاكمتهم امامها. وتم تأسيس منظمة الحلف الاطلسي العسكرية، تضم الولايات المتحدة ودول اوروپا الغربية وتركيا، وحلف بغداد وحلف جنوب شرق آسيا وتم فرض طوق عسكري محكم حول الاتحاد السوڤياتي وبلدان اوروپا الشرقية والصين. وجاءت انتخابات ١٩٤٨ بفوز الشيوعين في چيكوسلوفاكيا وأخذت الثورة في الصين وملايو وبورما والفليپين واليونان واندنوسيا تتقدم بسرعة نحو النصر، الامر الذي شجع الحكومة الامريكية على بناء القواعد العسكرية في كل البلدان المحاذية للمعسكر الاشتراكي وبناء اسطول جبار لتجول البحار بغية الهجوم على كل حركة معادية للغرب. ثم تم اعلان الحرب، باستخدام مجلس الامن، بغياب الاتحاد السوڤياتي، على كوريا الشمالية سنة ١٩٥٠ وتمت مقاطعة الكتلة الشرقية اقتصادياً، كما تم اعلان الحرب الباردة بين المعسكرين واخذت الاذاعات والصحف الغربية، وما تزال، تقيم الدنيا وتقعدها في الهجوم على الشيوعية و "جرائم" ستالين لغسل

ادمغة البسطاء.

كل هذا شجع على بروز حركة انصار السلام وجمع التواقيع في مختلف بلدان العالم لتشجيع الشعوب للعمل على تقليل شدة الحرب الباردة. وما ان سيطرت كتلة خروشوف على الحكم في الاتحاد السوڤياتي الا واخذت تتردد في مجابهة الحملة الغربية الشديدة ضد الاتحاد السوڤياتي واجبرت على التفكير باستخدام الطرق "السلمية" لمجابهة المسألة كلها

ما قبل التحريفية المعاصرة

تشدد النظرية الماركسية على ان المجتمع يتكون من الطبقات الاجتماعية، ولكل طبقة مصالحها الاقتصادية التي تدافع عنها عن طريق تشكيل حزب خاص بتلك الطبقة. ولكل حزب جماهيره واعضاؤه وقادته وهناك علاقة عضوية وموحدة بين هذه الاركان الثلاثة. فلهذا لا يمكن شرح او حتى فهم ظاهرة اجتماعية وكأنها من نتاج او رغبات شخص واحد او حتى زمرة واحدة من الاشخاص. فحتى في المانيا النازية لم تكن السلطة بيد شخص قوي واحد مثل هتلر، بل انها كانت تحت سيطرة الحزب النازي بكامله، ذلك الحزب الذي كان يمثل الرأسمالية الالمانية (من امثال المنتج الصناعي كروپ الذي استخدم مصانعه لتعدين الفولاذ لبناء

كافة الاسلحة الالمانية التي استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية. وقد تم الحكم عليه بالسجن في محاكمات نورنبورغ بتهمة جرائم الحرب).

وكذا الحال مع الاتحاد السوڤياتي. ولهذا ترفض الماركسية الادعاء القائل بأن الحكم في الاتحاد السوڤياتي، ايام ستالين، كان بيد فرد واحد مثل ستالين او بيد خروشوف فيما بعد. وفي سياق محاربة الشيوعية حتى بعد انهيار الاتحاد السوڤياتي سنة ١٩٩١، اكدت الدول الغربية، والولايات المتحدة بالاخص، بالحاح على ان الدكتاتورية البروليتارية كانت في الحقيقة عبارة عن دكتاتورية ستالين وجلاوزته.

لغرض ادراك ما قام به الحزب البولشفي، ايام ستالين، من الضروري ذكر بعض فعاليات هذا الحزب باختصار بغية ادراك الفرق مع ما جرى فيما بعد:

حين تم انتخاب ستالين سكرتيراً عاماً للحزب البولشفي كان الاتحاد السوڤياتي بلداً متأخراً تنتشر فيه المجاعات. لقد تمكن الحزب من تغيير هذا الوضع وتحويل الاتحاد السوڤياتي الى بلد صناعي متقدم يملك الصناعة الثقيلة والطاقة النووية وصواريخ عابرة القارات. وفي الحقيقة قدم ستالين سنة ١٩٣٣ تقريراً اعلن فيه ان روسيا المتأخرة اصبحت في تلك السنة ثاني بلد صناعي في العالم. وفي سنة ١٩٣٦ بدأ الاتحاد السوڤياتي يصدر القمح والمواد الغذائية الاخرى الى الخارج، في حين عاد الاتحاد السوڤياتي، ايام برجنيڤ، واخذ يستورد الحبوب من الولايات

المتحدة وكندا والارجنتين واستراليا، وذلك نتيجة لتدهور الزراعة في ايامه.

في تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ كتبت المجلة البريطانية Labour Mo-nthly، راجع ٧، تقريراً يشير الى بلوغ الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٣٧ المرتبة الثالثة في العالم في انتاج الكهرباء والمرتبة الثانية في صناعة مكائن وسائل الانتاج وفي صناعة الفولاذ والصناعات الكيمياوية. كل هذا رفع من سمعة الاشتراكية وبرهنت جدارتها بالنسبة للرأسمالية وحفز العمال في البلدان الرأسمالية على تفضيل الاشتراكية على النظام القائم في بلدهم. وتم البرهان على امكانية بناء الاشتراكية في بلد كبير يشكل سدس الكرة الارضية، بالرغم من الهجوم الهتلري عليه في حزيران ١٩٤١.

لقد ساعد الاتحاد السوفياتي على انجاح الثورات التحررية في العالم وخير شاهد على ذلك هو ماوتسي تونغ، قائد الثورة التحررية في الصين، الذي كتب، اثناء الحرب ضد المحتلين اليابانيين، في ١٩٣٩/٩/٢٨، مقالة بعنوان: «تطابق مصلحة الاتحاد السوفياتي مع مصالح كل البشرية.» ليشكر الاتحاد السوفياتي للعون المادي والمعنوي الذي قدمه لحركة التحرر في الصين.

يقول انور خوجه(،راجع ٨، Oppose Modern Rivisionism and Uphold Marxism - Leninism and the Unity of the International Communist Movement, Zeri i Popullit, Tirana. 1962 - Oct. 1963, (page 223

«لغرض سد حاجاتنا لاعادة البناء الاقتصادي والثقافي استلم بلدنا الاشتراكي السلف والمساعدات الاممية في كل المجالات فقط من الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية والبلدان الاخرى في المعسكر الاشتراكي. ولكل هذا اننا نعبر عن شكرنا الرفاقي لشعوب هذه البلدان.».

لقد عاش يوسف سلمان يوسف (فهد)، مؤسس الحزب الشيوعي العراقي، ودرس في الاتحاد السوفياتي لمدة سنتين. وبعد عودته شكل حزبه في سنة ١٩٤٠ (راجع حنا بطاطو، الصفحة ٤٤٩ و ٤٥٠). وبمناسبة الذكرى السادسة والعشرين لثورة اكتوبر في ١٩٤٣ بعث فهد تحية حزبه الى الاتحاد السوفياتي وكتب فيها:

« ... الى الحزب البولشفي الحكيم واعضائه اقطاب الحكم السوفياتي وطليعته ودماغه المفكر الى قادته الميامين، رفاق ستالين في الجهاد والى الرفيق ستالين وارث ماركس وانجلز ولينين ومكملهم، الذي تتجسم في شخصه حكمة شعبه وعبقريته، بطولة شعبه وتضحيته، قابلية شعبه واحتماله، اليكم جميعاً تحيات شعب ذاق مرارة الطغيان الذي قضت عليه ثورة اكتوبر، وتعرض لخطر غزو برابرة النازي الذي تعملون على افنائه اليوم، وتحيات حزب عاهد اعضاؤه انفسهم على السير على مبدأ ثورة اكتوبر في نضالهم من اجل حرية اوطانهم وسعادتها ... » (راجع ٩، مؤلفات الرفيق فهد، من وثائق الحزب الشيوعي العراقي، الطبعة

الاولى، ١٩٧٤، الصفحتان ٣٦٤ و ٣٦٥).

وبعد ست سنوات من هذه التحية الصريحة ضحى فهد بل ورفيقاه حسين الشبيبي وزكي بسيم، العضوان في المكتب السياسي، بحياتهم وصعدوا المشنقة ليتم اعدامهم وهم يدافعون عن ثورة اكتوبر وعن الاتحاد السوفياتي وقائده ستالين. وللقارئ حق السؤال: هل ضحى فهد بحياته لجهله او لعلمه اليقين بصحة ما يكتب ويقول حتى آخر لحظة من حياته حول الاتحاد السوفياتي وحول ستالين ؟

لا يمكن اعتبار فهد وماوتسي تونغ او انور خوجة كمنافقين ولا بسطاء حين دافعوا عن الاتحاد السوفياتي وقد برهنوا على صدقهم حين ضحى فهد بحياته لاجل قضيته وحين توقف ماو وخوجة عن الدفاع عن الاتحاد السوفياتي بعد المؤتمر العشرين ، سنة ١٩٥٦، بل انهما اخذا يهاجمان خروشوف والاتحاد السوفياتي، متهمان اياه بالتحريفية المعاصرة.

مصدر التحريفية

لكل طبقة مصالحها وايديولوجيتها التي هي انعكاس للظروف الذاتية والموضوعية التي تعيش فيها تلك الطبقة. وفي المجتمع الرأسمالي تمتاز الطبقة البورجوازية الصغيرة بصفاتها الخاصة بها لكونها تعيش بين العمال من جهة والرأسماليين من الجهة الاخرى فتتذبذب بينهما. فمثلاً

يشتري البورجوازي الصغير، صاحب مخزن مثلاً، مواده من المعامل التي تملكها البورجوازية الكبيرة، ويخزن نقوده في البنوك الرأسمالية، وغالباً يقترض من هذه البنوك لتعمير مخزنه او توسيعه. ويدرس البورجوازي الصغير منذ الطفولة في المدارس وثم الجامعات التي تملكها الدولة البورجوازية، تلك المؤسسات الثقافية التي تقولب افكاره. كل هذا يخلق صلة عضوية بينه وبين البورجوازية الكبيرة. ولهذا يفقد البورجوازي الصغير اكثر من اغلاله اذا ما وجد نفسه في ثورة اجتماعية عنيفة. ولضعفه، بالنسبة للبورجوازي الكبير، انه يعيش في حالة خوف مستمر حول نتائج نجاحْ الثورة الدموية.

ومن الجهة الاخرى يجد البورجوازي الصغير نفسه في احتكاك مستمر ومباشر مع العمال والفقراء الذين يشترون حاجاتهم اليومية منه. وكذا الحال مع البورجوازيين الصغار الآخرين كالمدرسين والاطباء والمحامين الذين يعملون مع ويحتكون بالعمال بحكم مهنتهم. بهذه الطريقة يخلق البورجوازي الصغير العلاقات المادية والاجتماعية مع الطبقة العاملة. فعلاقته مع الطبقتين تخلق عنده مصالح متناقضة والتي تجبره على التذبذب. وحتى لو شذ بعض البورجوازيين الصغار عن هذه الصفة فان البورجوازية الصغيرة، كطبقة، تمتاز بالتذبذب والتردد.

مثل اية طبقة اخرى تود البورجوازية الصغيرة السيطرة على الحكم والسيطرة على شؤون الدولة بغية الدفاع عن المصالح الطبقية الخاصة

بها. ولهذا تعمل على ارضاء العمال والرأسماليين في آن واحد بغية الحصول على مساعدة الطرفين لتحقيق طموحه، مثلما فعل توني بلير وحزبه قبل انتخابات ١٩٩٧ في بريطانيا. فالتذبذب من جهة ولعلم البورجوازية الصغيرة بحقيقة خسارتها لبعض مصالحها في الثورة العمالية من الجهة الاخرى، فانها ترفض الثورة العنيفة المسلحة وترفض حرب الانصار، او اية عملية عنيفة تفقدها مصالحها. ولهذا فهي تبث افكارها لاقناع العمال على تجنب الثورة الدموية لكونها عملية مؤلمة.

ولهذا الغرض ايضاً يدخل البورجوازي الصغير في حزب الطبقة العاملة ويعمل داخل هذا الحزب بنشاط بغية الوصول الى قيادته ثم حرفه باتجاه الطريق السلمي لتحقيق الاشتراكية. وهذا ما فعله كاوتسكي.

اما بعد انتصار الثورة العنيفة فيخصص البورجوازي الصغير جل جهده للدفاع عن مصالحه. ولتحقيق هذا الغرض انه يعمل بجهد اكبر بغية الاشتراك في الحزب الحاكم لكي يستخدمه لاغراضه الطبقية الخاصة. وللمحافظة على ما كان له من الامتيازات قبل الثورة.

اذن فالتحريفية في كلا المجتمعين الرأسمالي والاشتراكي هي من انتاج البورجوازية الصغيرة. وما دام التقسيم الطبقي مستمر في المجتمع تبقى التحريفية وتستمر في نشر ايديولوجيتها السلمية.

وحالما تأسست الاممية الاولى لقيادة الحركة العمالية بدأت البورجوازية الصغيرة تدخلها لبث الطريق السلمي في صفوفها. ولهذا كتب

الاشتراكي الالماني فيرديناند لاسال(١٨٢٥ - ١٨٦٤) الى كارل ماركس في ١٨٥٢/٦/٢٤ قائلاً:

«ان الصراع الثوري داخل الحزب يقوي الحزب ويعطيه الحيوية. ان اعظم برهان على ضعف الحزب هو بعثرته وضبابيته وعدم وضوح حدوده. ان الحزب يقوى عن طريق تطهير نفسه.».

ان التناقض الرئيسي في عملية الثورة ضد الرأسمالية او الاستعمار هو بين الطبقة العاملة والكادحين من جهة والطبقة الرأسمالية المعادية من الجهة الاخرى. ومع انتصار هذه الثورة ترفض الرأسمالية القبول بالموت وتكافح بغية البقاء على قيد الحياة وحماية مصالحها، حتى عن طريق خدع الطبقة الحاكمة الجديدة. فيعلن بعض البورجوازيين عن توبتهم بل يقررون الدخول في الحزب الحاكم ويعلنون عن اخلاصهم للحزب وللحكومة الجديدة.

اما اولئك البورجوازيون الصغار الذين دخلوا الحزب حتى قبل الثورة فانهم يعملون كل ما في وسعهم للسيطرة على قيادة الحزب الحاكم والحكومة الجديدة بغية الاستفادة من الوضع الجديد. هكذا تنال عملية التسلل الى داخل الحزب الحاكم تعجيلاً مضاعفاً.

ان تأريخ الحزب الشيوعي السوڤياتي بعد ١٩١٧ يثبت ان البورجوازية الصغيرة تمكنت من اختراقه وتحريفه لكي يخدم مصالحها. لقد تم ذلك منذ بداية ثورة اكتوبر حين قررت الحكومات الغربية مقاطعة الاتحاد

السوڤياتي اقتصادياً وثم الهجوم عليه عسكرياً سنة ١٩١٨ واحتلال اربعة اخماس اراضيه. فاضطرت الدولة السوڤياتية الجديدة على التركيز على عملية الدفاع عن نفسها عن طريق تكوين جبهة موحدة بين طبقة العمال والبورجوازية الصغيرة، الامر الذي حث البورجوازية الصغيرة على الدخول في الحزب البولشفي وفرض شروطها عليه. فمثلاً اثناء الحرب الاهلية اضطر لينين الى اعادة ضباط الجيش القيصري الى مناصبهم العسكرية السابقة لغرض مقاومة التدخل الاجنبي، وبعد انتصار الدولة السوڤياتية على الغزاة وطردهم بقي الالوف من البورجوازيين الصغار بل وحتى الكبار داخل الحزب.

وفي هذا الوقت بالضبط، سنة ١٩١٨ دخل خروشوف الحزب البولشفي واخذ يرتقي في صفوفه. بالطبع عمل خروشوف وامثاله كل شئ لخدمة الحزب والدولة الجديدة لكي يتمكنوا من الصعود الى المراكز القيادية. ومن الناحية الثانية خسر الحزب الملايين من خيرة كوادره، لا عن طريق الاغتيالات، لقد حاولوا اغتيال لينين نفسه، فحسب بل لاقوا حتفهم في الحرب الاهلية التي استمرت عدة سنوات وبصورة خاصة في الحرب العالمية الثانية حين تمكنت الجيوش الهتلرية من قتل ٢٩ مليون سوڤياتي، بينهم اكثر من نصف اعضاء الحزب الشيوعي وخيرة الكوادر الحزبية.

لقد اكد فهد على تضحيات الجيش الاحمر السوڤياتي الى درجة انه

قام، اثناء الحرب العالمية الثانية بحملة جمع التبرعات من العمال والفقراء العراقيين لمساعدة هذا الجيش وكتب في ندائه:

«لقد صمد الجيش الاحمر في ستالينغراد والقفقاس وبصموده هذا حال دون غزو برابرة الهتلرية بلادنا العزيزة فكم يا ترى بذل الجيش الاحمر والشعب السوفياتي من تضحيات بالانفس والمال في سبيل ايقاف جراد الهتلرية.» . وثم يقول:

«وليس الشعب العراقي باقل احساساً بالاعتراف بالجميل من الشعوب الاخرى، لذا نتقدم الى رفاقنا العمال والى الاحرار الديمقراطيين ان يؤازرونا بمشروع الاكتتاب لجمع مبلغ نقدمه باسم عمال العراق الاحرار الديمقراطيين الى الجيش الاحمر الباسل.». وثم:

«فلا تبخلوا ايها المواطنون بالدرهم الذي تعطونه لغرض الاجهاز النهائي على عدو البشرية.». (نفس المصدر ٩، الصفحة ٣٦٢ و ٣٦٣). ان حملة التبرعات من الشعب العراقي الفقير جداً آنذاك تؤكد على مدى ضخامة التضحيات التي قدمها الشعب السوفياتي دفاعاً عن نظامهم الاشتراكي وكذلك تدل على مدى تعلق فهد بالاتحاد السوفياتي والجيش الاحمر الذي كان ستالين قائده. ان الحملة تثبت بطلان الاكاذيب التي كانت المؤسسات الاستعمارية تبثها حول استلام الحزب الشيوعي العراقي المساعدات المالية من الاتحاد السوفياتي ايام ستالين، على عكس ما حدث فيما بعد ايام خروشوف حين اخذ الحزب الشيوعي العراقي يستلم

الملايين بغية القبول بالسير وراء التحريفية المعاصرة. (راجع الفصل السابع للتفاصيل).

ان فقدان الحزب البولشفي نصف اعضائه اثناء الحرب العالمية الثانية ساعد على دخول موجات جديدة اخرى من الطامعين الى صفوف الحزب. وفي النهاية تأسست طبقة بيروقراطية كاملة داخل الحزب من الذين صفقوا وهتفوا ومدحوا الشيوعية وحزبها بغية تثبيت مواقعهم والحصول على المراكز الحزبية وعلى العيش الرغيد. لقد ادعى هؤلاء وعلى رأسهم خروشوف وسوسلوف وبرجنيف بل الشاب الطموح غورباچوف، بانهم يقدسون ستالين ويعتبرونه «قائدهم ومعلمهم العظيم».

ولكن حين توفى ستالين سنة ١٩٥٣ واختفت آخر عقبة امامهم كشف هؤلاء عن حقيقتهم واخذوا يلعنون ستالين وبدأوا بتحريف سياسة الدولة السوڤياتية تدريجياً نحو النظام الرأسمالي ونجحوا، بعد ٣٥ سنة، في القضاء على الاتحاد السوڤياتي وتسليم البلاد الى عصابات المافيا والشركات العابرة للاوطان وذلك على يد غورباجوف الذي نال التأييد التام من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، حين كانت تعقد الاجتماعات وتصدر البيانات تمجيداً للپريسترويكا والگلاسنوست.



الفصل السادس

ماذا عمل التحريفيون؟

١ - شق الحزب

ادعى خروشوف وكتلته في المؤتمر العشرين للحزب "الشيوعي" السوفياتي في ١٩٥٦ ان ستالين، وحده دون بقية القيادة السوفياتية، نشر "عبادة الفرد" في حين ان خروشوف كان طوال حياة ستالين يقود المدافعين عن قيادة الحزب وستالين بالذات. ثم اتهمه بقتل الالوف من الابرياء، بينهم قادة الحزب. لكن حتى السفير الامريكي في موسكو، يوسف ديفيز، الذي حضر كافة جلسات المحاكمات العلنية، يؤكد على عكس ذلك، اذ اصدر السفير فلماً وكتاباً يؤكد فيهما بأن «المحاكمات كلها كانت علنية وعادلة حضرها مراسلو الصحافة العالمية والدبلوماسيون من مختلف البلدان الغربية وتم الاثبات فيها على ان كامانييف وزينوفيف وبوخارين كانوا يعملون سراً مع تروتسكي وبمساعدة هتلر للسيطرة على الحكم.» (راجع ١٠ Joseph E. Davies, Mission to Moscow, United States Ambassador to the Soviet Union from 1936 to 1938, Victor Gollancz Ltd, London 1942).

وبالرغم من كون خروشوف من قادة الحزب الشيوعي، حيث كان عضواً

في سكرتارية المكتب السياسي، ايام ستالين ولغرض ابراز شخصيته بعد ستالين، تمكنت كتلته بهذه الطريقة من قطع العلاقة القوية التي كانت سائدة بين قيادة الحزب البولشفي واعضائه من جهة وبين القيادة السوفياتية والشعب من الجهة الاخرى. وهكذا جند الشعب واعضاء الحزب ضد ستالين ومؤيديه من قادة الحزب. كما اعلن خروشوف عن نهاية الدكتاتورية البروليتارية بحجة زوال التمييز والخلاف الطبقي في البلاد وادعى ان "الدولة تمثل كل الشعب" وان الحكومة هي "حكومة كل الشعب" عدا طبعاً الذين استمروا في تأييد ستالين والذين كانوا الاكثرية داخل الحزب في معظم الحالات.

لقد قامت الكتلة التحريفية لخروشوف بهذه الاعمال بغية السيطرة على الحزب الذي انشق على اثر تصرفاتها. وبدل القضاء على عبادة الفرد، جعل من نفسه السكرتير الاول للحزب سنة ١٩٥٣ وعزز مركزه حين عين نفسه رئيساً للوزراء في ١٩٥٨. وبالطبع انه لم يكن لوحده في تنفيذ عملياته بل كان له حزبه وقيادته الجديدة. ولغرض الاعلان ان حزبه هو ليس الحزب الذي قاده ستالين قرر تبديل اسم الحزب الى «الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي» اي ازالة كلمة «البولشفي» من الاسم، بالضبط كما فعل توني بلير حين بدل اسم حزب العمال البريطاني الى «حزب العمال الجديد».

ان الانشقاق داخل الحزب السوفياتي ظهر الى العلن في ٤/٧/ ١٩٥٣

حين تم اغتيال بيريا، عضو المكتب السياسي والسكرتارية، داخل اجتماع رسمي في الكريملين دون محاكمة. ارتكب خروشوف هذه الجريمة المخلة بالدستور السوڤياتي لسببين، الاول: هو ان بيريا ادرك انحراف خروشوف واخذ يبحثه مع بقية قادة الحزب. والثاني: لأن خروشوف سبق واقترح على الولايات المتحدة القبول بالوضع الجديد في الاتحاد السوڤياتي والاتفاق على الهدنة في الحرب الكورية. الا ان الامريكان الحوا على خروشوف ان يقدم برهاناً عملياً على تغير السياسة السوڤياتية. فقرر خروشوف قتل بيريا والاعلان عنه. (راجع ١١، History of the Communist Party of the Soviet Union, Foreign Languages Publishing House, Moscow, 1960, pages 650 - 702). الامر الذي اقنع الحكومة الامريكية بصدق نيات خروشوف ووافقت على الهدنة في الحرب الكورية في ١٩٥٣/٧/٢٧. ثم جاء المؤتمر العشرون للحزب سنة ١٩٥٦ والذي احدث معارضة شديدة ضد خروشوف، بل تم طرده من المكتب السياسي. الا ان خروشوف استخدم منصبه كسكرتير الحزب وقرر جمع اعوانه في اللجنة المركزية للحزب، وبسرعة، في حزيران ١٩٥٧ وطرد كافة المعارضين له، بينهم قادة الثورة البولشفية واعضاء الحكومة والمكتب السياسي من امثال: مولوتوف ومالينكوف وگاگانوفيچ وشيپيلوف وبلگانين وثم فوروشيلوف وزوكوف وسبوروف الذين اتهموا ب "الكتلة المعادية للحزب" الذين ارتكبوا جرائم بشعة مثل: رفضهم الدخول الى المرحلة الشيوعية بحلول ١٩٨٠ ! ورفضهم التفوق في الانتاج على الولايات

المتحدة بحلول ١٩٧٥ ! ورفضهم الاستفادة من استخدام الاراضي البكر في سيبريا ! تلك الاهداف السخيفة والخيالية التي الح عليها خروشوف وايدها اعوانه ولكن دون ان يتم تحقيقها حتى بعد طرد هؤلاء "الاعداء" من الحزب (نفس المصدر ١١، الصفحات ٦٨٠ - ٧١٧). لقد قامت كتلة خروشوف بشق الحزب وطرد مناوئيها من الحزب بالرغم من اعلانها عن نهاية الخلاف الطبقي في البلاد. لقد كان برجنيف وميكويان وكوسيكن وفرسوفا وپودگورني وسوسلوف من اكثر المؤازرين لخروشوف في هذه العملية التطهيرية لاعوان ستالين في قيادة الحزب. .

ثم قررت كتلة خروشوف شق الحزب من القمة وحتى القاعدة عن طريق طرد مؤيدي الحزب البولشفي وبحلول المؤتمر الحادي والعشرين تم طرد ٤٥٪ من اعضاء اللجان المركزية في الجمهوريات السوفياتية اضافة الى ٤٠٪ من لجان المناطق والبلديات. كما شمل التطهير ٢٥٠٠ سكرتيراً للفروع في جورجيا وحدها و٩٠٠٠ منهم في اوكرانيا. ومن الجهة الثانية قرر خروشوف في المؤتمر العشرين اطلاق سراح ٧٠٠٠ سجيناً واعادتهم الى المراكز الحزبية. لدراسة تفاصيل كل هذا راجع١٢ T. Gunawadhana, Khrushchevism, Colombo,1963, وراجع ايضاً ١٣، Cathie Majid, Nikita Khrushchev, His role in the Anti - Stalin Campaign and in the Destruction of Socialism, Quacks, York, 1993).

كل هذا احدث البلبلة والشك عند الشعب بخصوص الشرعية الاشتراكية ومدى تمسك قيادة الحزب بالقوانين السوفياتية والقرارات

الحزبية بخصوص الديمقراطية المركزية، ومن الناحية الاخرى فتح المجال للمجرمين والمحتالين لدخول الحزب وتوجيهه نحو الرأسمالية. هكذا تم تبديل الهيكل الحزبي بعد ان تم اتهام عدد كبير من قادة الحرب العالمية الثانية من امثال الماريشالات زوكوف وبلغانين وفوروشيلوف وابطال ثورة اكتوبر مثل مولوتوف وفورشيلوف وگاگانوڤيچ بالجرائم المختلقة. وبالطبع وصل زعيق ابواق الدعاية الغربية حد الرنين حين بدأوا يمدحون شجاعة خروشوف وطبقته واستخدامهم كشهود عيان لاتهام ستالين بالقيام بـ«الجرائم ضد البشرية».

لقد ايد الحزب الشيوعي العراقي كل ما قام به خروشوف ورهطه خاصة بعد ان بدأت المساعدات المالية السوڤياتية تصل الحزب العراقي منذ الكنفرنس الثاني سنة ١٩٥٦ (راجع الفصل السابع للتفاصيل).

وبعد ان انجز خروشوف مهمته تم طرده من كل المراكز الحزبية والحكومية سنة ١٩٦٤، مع الاستمرار في تنفيذ مقررات المؤتمر العشرين ، دون العودة الى اعلان الدكتاتورية البروليتارية او الغاء "دولة كل الشعب" او رد الاعتبار لستالين اوبيريا او القادة المطرودين، بل استمر رهط برجنيف على نفس السياسة، تلك التي اجبرت الحزب الشيوعي العراقي على الاشتراك في الجبهة البعثية - "الشيوعية" بحجة السير على الطريق اللارأسمالي!.

هكذا تمكن غورباجوف وشفرنادزه ويلتسن ورتسكوي وخزبلاتوف

والوف غيرهم من البلطجية التسلق الى قيادة الحزب والسيطرة على الحكومة ونجحوا في القضاء على الاتحاد السوڤياتي بحجة البريسترويكا التي صفق لها عزيز محمد وحميد موسى ولجنتهما المركزية لكي يستمروا في نيل عمولتهم حتى آخر يوم من عمر الدولة السوڤياتية.

٢ - إحداث الفوضى في المعسكر السوڤياتي

كلما انتشرت اخبار فعاليات كتلة خروشوف كلما ازدادت الفوضى والارتباك في بلدان اوروپا الشرقية والصين وكوريا الشمالية، مما شجع المستعمرين والتحريفية التيتوية على القيام بسلسلة من ثورات الردة، تلك التي شارك فيها خروشوف وطبقته البتي بورجوازية بكل حماس. ان اول عمل قام به خروشوف هو الغاء الكومنفورم، الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية لتنظيم الاحزاب الشيوعية العالمية على غرار الاممية الثالثة (الكومنترن). ثم قام خروشوف بسفرة الى يوغسلاڤيا والاعتذار الى تيتو وتشكيل جبهة معه ضد مؤيدي ستالين وضد الاحزاب الشيوعية التي رفضت اعمال خروشوف. تلت ذلك محاولة انقلابية في كوريا الشمالية، الدولة التي خرجت تواً من حرب دموية مدمرة ضد المستعمرين الامريكان.

لقد اكتشف الكوريون المشاركة الفعلية لخروشوف في العملية

الانقلابية التي كانت تهدف الى ازاحة كيم ايل سونغ. وحين زرتُ كوريا الشمالية في صيف ١٩٩١ كان الكوريون مازالوا يعبرون عن حقدهم العميق لخروشوف. لقد فضح حزب العمال الكوري هذه المؤامرة في اجتماع اللجنة المركزية في آب ١٩٥٦.

ثم جاء دور هنغاريا التي استخدمها خروشوف مع تيتو والامريكان لتنفيذ ثورة الردة المسلحة فيها. لقد اثّر تصرفات خروشوف في المؤتمر العشرين على استقرار الحزب الشيوعي الهنغاري. ففي ١٩٥٦/٧/١٨، بعد اقل من ستة اشهر من المؤتمر العشرين للحزب السوفياتي، استقال راكوزي، سكرتير الحزب، بعد زيارة مفاجئة لميكويان ومباشرة تم اطلاق سراح اعداء الحزب التيتويين من السجون واستلام قيادة الحزب. ثم تم طرد فاركاس، وزير الدفاع ورئيس منظمة الامن العامة، من الحزب في ١٩٥٦/٧/٢٢. لقد كان راكوزي وفاركاس من ابطال المقاومة ضد الهتلرية وكانا في قمة القائمة التي حضرها راجك بغية الانتقام منهما. لقد تم اعدام راجك في ١٩٤٩/١٠/١٥ بتهمة مشاركته لتيتو في تحطيم الكيان الهنغاري ولكن تم رد الاعتبار اليه ترضية لتيتو، ودفنه مع كامل الشرف العسكري. لقد اصيب الشعب الهنغاري بالارتباك وبدأ الحزب الشيوعي بالتفسخ والانهيار. ومع غياب فاركاس تمكن خروشوف من استخدام شرطة الامن لاحداث الانقلاب عن طريق القاء القبض على قادة الحزب الهنغاري وكوادره ومن ثم الاعلان عن الانقلاب في

٢٣/١٠/١٩٥٦ وخرجت المظاهرات وهي تحمل شعار «نحن نثق بامري ناج» الذي كان من اعوان تيتو المعروفين. ثم دخل الالوف من عملاء وكالة المخابرات الامريكية البلاد عبر الحدود مع النمسا. كما بدأت اذاعة "اوروپا الحرة" التابعة للمخابرات الامريكية تحث الشعب على العصيان للقضاء على الحكومة. ثم انهزم اميري ناج من السجن واخذ يطالب بخروج هنغاريا من حلف وارسو وطالب هيئة الامم المتحدة ب «الدفاع عن هنغاريا والاعتراف بحيادها». بالطبع ادركت كتلة خروشوف ان الامور قد خرجت من قبضتها، وفي ٤/١١/١٩٥٦ دخلت القوات العسكرية السوڤياتية الى هنغاريا واستمرت اعمال العنف الدموي لمدة اسبوع حين تم قتل ٢٠ الفاً من سكان هنغاريا بينما غادر ١٥٠ الف مواطن البلاد الى اوروپا الغربية. هكذا انفضحت اعمال خروشوف الخيانية على حساب الشعب الهنغاري وعمت الفوضى داخل الحركة الشيوعية الى درجة ان اكثر من ٧٠٪ من اعضاء الحزب الشيوعي البريطاني قد استقالوا من حزبهم احتجاجاً على الجرائم التي قام بها جيش خروشوف في هنغاريا. لقد تبين ان قرارات المؤتمر العشرين للحزب السوڤياتي كانت في الحقيقة قناعاً لمعاداة الشيوعية.

ثم جاء دور پولنده. حين اعيدت فيها الاحداث الدموية وكأنها تجري في هنغاريا. وهنا ايضاً تم استخدام شعارات المؤتمر العشرين حول "نشر الديمقراطية والحرية". فبعد قتل سكرتير الحزب الشيوعي الپولندي،

بيروت، سنة ١٩٥٦ اثناء المؤتمر العشرين تمكنت كتلة خروشوف، بعد صراع دموي عنيف، من جلب گمولكا الى السلطة. لكن هذا الاخير كان اكثر حيلة حتى من خروشوف، اذ كان له افكاره الخاصة حول مستقبل پولندة. فلم يكن گمولكا ضد ستالين وحده بل كان ضد الخروشوفية نفسها. فحالما اصبح السكرتير الاول للحزب اعلن معارضته للجمعيات التعاونية في الزراعة وضد المزارع الحكومية بحجة انها ليست مربحة بالمقاييس الرأسمالية. ثم اسس ما يسمى بالمجالس العمالية والجمعيات التعاونية ذات الاستقلال الاداري على النمط اليوغسلاڤي، وبدأ بتشجيع التجارة الفردية الحرة (غير الحكومية) وادخال دراسة الدين الكاثوليكي الى المدارس واعلن "الطريق الوطني للاشتراكية" واخذ يقبض البلايين من الدولارات الغربية كديون بحجة "رفع المستوى الاقتصادي" للبلاد، تلك الخطوات التي اقتبسها برجنيف فيما بعد.

ثم جاء دور المانيا الشرقية حين تمكن اولبريخت وهونيكر في اجبار الالوف من العمال والكادحين على الهروب الى الغرب. لقد تردت الاحوال الامنية وعمت المظاهرات الشعبية الى درجة اضطر فيها خروشوف الى السفر الى برلين والاشراف على بناء جدار برلين المكروه. (لاحظ: حين تم هدم هذا الجدار، بعد سقوط الحكومة التحريفية في المانيا الشرقية، بل وحتى الان لا تذكر الاذاعات والدعاية الغربية ان الجدار قد شيده خروشوف. سنة ١٩٦١، (راجع ١٤، Collins Dictionary of People and Places, Book Club Association, London,1975, page 46)

ثم امر خروشوف ببناء سياج من الاسلاك الشائكة على طول الحدود بين المانيا الشرقية والغربية. ولكن فشلت هذه التدابير في منع السكان من الهروب من جحيم التحريفية المعاصرة لخروشوف واتباعه في المانيا الشرقية، اذ اخذ الناس يتركون البلاد عن طريق السفر الى هنغاريا ومنها الى النمسا ، واستمرت الحالة المخجلة حتى يوم سقوط الدولة في المانيا الشرقية بدون ان تستطيع الدفاع عن نفسها ،باستخدام العنف المسلح، في حين كانت المانيا الشرقية تمتاز بتجارة السلاح وتصديره الى كل العالم ، بما في ذلك عراق صدام حسين.

ثم جاء "انقلاب القصر" في بلغاريا حين جُلب بژفكوف الى الحكم. والمعروف ان ژفكوف هذا (الذي درب حميد موسى وعلمه السياسة) اكد على شاشة التلفزيون، بعد ان سقطت حكومته، على انه «ترك الاعتقاد بصحة الماركسية منذ ١٩٦٠».

ولغرض ترضية تيتو سافر خروشوف الى البانيا في ٥٩/٥/٢٥ لاقناع الحكومة الالبانية على الاندماج بيوغسلافيا ، وحين رفض الحزب الشيوعي الالباني هذا الاقتراح، قام خروشوف بمحاولة انقلابية فاشلة لازاحة انور خوجة واكثرية اعضاء اللجنة المركزية. فقررت الحكومة الالبانية قطع علاقتها مع الاتحاد السوفياتي. وبالمقابل قررت الحكومة السوفياتية قطع المساعدات الاقتصادية عن البانيا الصغيرة والبدء بهجوم اعلامي ضدها وكأن البانيا عدوة البشرية جمعاء. ولم تخجل

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ، بالرغم من مشاكلها الوطنية العميقة، من مشاركة الكتلة الخروشوفية في هذا الهجوم.

اما الحزب الشيوعي الصيني فقد رفض كل ما اقترحه خروشوف حول التطور السلمي نحو الاشتراكية، او التعايش السلمي مع المستعمرين او التنافس السلمي بدل الثورة. فردّ خروشوف وحزبه الجديد على الموقف الصيني بالغاء معاهدة التعاون الذي وقعها ستالين وماوتسي تونغ. كما الغت الحكومة السوڤياتية كافة اتفاقيات المساعدة الاقتصادية الى الصين واوقفت كافة المشاريع الكبيرة والصغيرة، التي كانت الحكومة السوڤياتية تقوم بانشائها حسب اتفاقية التعاون، الامر الذي حطّم اقتصاد الصين، ذلك البلد الذي كان سنة ١٩٥٦ في بداية عملية بناء ما خربته الحرب ضد المحتلين اليابانيين ومن ثم اثناء الثورة الصينية ضد حكومة چان كايشك. فبدأت الصين تعود الى الوراء، اذ تدهور اقتصاد البلاد بصورة يرثى لها وتحولت الظروف الاقتصادية في البلاد بصورة اصبح السير نحو الاشتراكية من باب المستحيلات. وحين زرتُ الصين بدعوة من الحزب الشيوعي الصيني سنة ١٩٦٤ وجدت الباصات تسير بالغاز لانقطاع النفط السوڤياتي وكانت الاغذية توزع على الشعب بالبطاقات.

كل هذه الحوادث المؤلمة جاءت كنتيجة مباشرة للسياسة الجديدة للحزب السوڤياتي واجبرت الحزبين الصيني والالباني على تكوين جبهة موحدة

ضد حكومة خروشوف وبالتالي الى انشقاق الحركة الشيوعية العالمية وتدهورها نحو نتيجتها المحتومة.

٣ - خيانة حركة التحرر

بدأت موجة ثورية في العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية وذلك لغرض التحرر من المستعمرين وبينّا ان معظم هذه الحركات لم تتكلل بالانتصار بل رضخت البلدان الثائرة، من جديد، الى العدوان الاستعماري الذي انتهى بسيطرة الشركات العابرة للاوطان عليها. فتبدل الاستعمار القديم الذي كان يحكم بلدان العالم بالطريقة العسكرية المباشرة الى الاستعمار الحديث الذي عُرِفَ فيما بعد بالكولونيالية الجديدة. لقد تم التعبير عن هذه الحالة الجديدة بصورة واضحة في اعلان هافانا الثاني: «ان امريكا اللاتينية اليوم ترزح تحت استعمار اكثر ضراوة واكبر قوة واشد قسوة من الاستعمار الامبراطوري الاسپاني.».

وفي قمة المد الثوري في كل العالم ضد الاستعمار، حين كان الشيوعيون يلعبون دوراً بارزاً فيه، القى خروشوف خطابه السيئ الصيت في المؤتمر العشرين. وقد خصص اشد كلماته قسوةً للهجوم على ستالين الذي كان، بالاعتماد على ما كتبه فهد مراراً، يعتبر القائد المعترف به لكافة الحركات التحررية. فخلق خروشوف جواً من الفوضى وخيبة الامل

في حركة التحرر العالمية وكانت تلك فاجعة بالنسبة للشعوب المظلومة. لقد كانت النتيجة حتمية بالنسبة للشعوب المنكوبة، فالمستعمرون ادركوا اهمية الانشقاق في الحركة التحررية فبدأوا بالهجوم عن طريق اثارة الحركات المعادية للشيوعية والقيام بالانقلابات العسكرية بل اغتيال الشيوعيين في كل مكان. هكذا تم سحق الاحزاب الشيوعية الكبيرة في ماليزيا واندنوسيا والعراق والسودان واليونان وشيلي، بينما شجعت كتلة خروشوف الحاكمة حل الاحزاب الشيوعية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بحجة العمل المشترك مع الحكومات البورجوازية الجديدة كما حدث في مصر والجزائر، في حين قررت الاحزاب الشيوعية في عدد من البلدان مثل العراق والهند وسيريلانكا التعاون مع الحكومة عن طريق تشكيل الجبهات الموحدة والترويج "للتحول السلمي الى الاشتراكية" و"الطريق اللارأسمالي" في الحكم.

وبدل مساعدة الحركات التحررية في العالم اقترح الحزب السوفياتي مجموعة من النظريات الخاطئة والتي برهنت الحياة على فشلها. وهذه النظريات كانت:

أ - التعايش السلمي مع الاستعمار

بحجة ان هذا التعايش سيقوي حركات التحرر وان «التعايش السلمي والتنافس السلمي سيساعدان على انبثاق سلسلة من العمليات التحررية من قبل الشعوب التي تكافح لنيل الحرية من السيطرة الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية وتستطيع تسديد ضربة مدمرة لكل العلاقات الرأسمالية.» (راجع ١٥، الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوڤياتي الى الحزب الشيوعي الصيني في ١٩٦٣).

ب - مساعدة البلدان المتأخرة

ادعى الحزب السوڤياتي ان مثل هذه المساعدات ستساعد على تطوير هذه البلدان. ولكن اتضح ان الاتحاد السوڤياتي قد تحول الى قوة عظمى وبدأ ينافس الولايات المتحدة في تقديم القروض الى هذه البلدان بغية الحصول على اقصى الارباح وبالعملة الصعبة. (اتذكر جيداً حين وقّعتُ سنة ١٩٥٩ اتفاقية مع الحكومة الچيكوسلوفاكية التي قدمت قرضاً الى الحكومة العراقية لبناء معمل الاحذية الشعبية في الكوفة وكان احد الشروط هو على الحكومة العراقية دفع القرض مع الفوائد بنسبة ٢,٥٪ بالجنيهات الاسترلينية او ما يعادلها من الذهب في ذلك الوقت، في حالة

انهيار سعر الجنيه. كانت القروض الامريكية في تلك الايام تشترط فائدة قدرها ٣٪)

كما اقترح الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة التعاون معه في «تقديم المساعدات المالية للبلدان المتأخرة.»، ففي خطاب لخروشوف في هيئة الامم المتحدة في ايلول ١٩٥٩ قال موجهاً كلامه الى حكومة الولايات المتحدة: «ان النجاحات الاقتصادية لكم ولنا ستنال الترحيب في كل العالم الذي يتوقع من قوتينا العظميين مساعدة الشعوب التي تنوي الوقوف على اقدامها والتي تخلفت عنا بقرون في تطورها الاقتصادي». هكذا تطوع الاتحاد السوفياتي ليصبح شريكاً للاستعمار الامريكي لاستغلال الشعوب المقهورة عن طريق تسليفها بالقروض المربحة. لاحظ ايضاً ان خروشوف لا يشير الى الولايات المتحدة كدولة رأسمالية تقدم القروض المربحة، باسم المعونة او المساعدة، لغرض الربح لاغيره.

ج - نزع السلاح

لقد شدد الاتحاد السوفياتي على ضرورة قيام الدولتين العظميين بنزع السلاح التام الشامل، بغض النظر عن كون السلاح شئ ضروري بالنسبة للولايات المتحدة وبقية البلدان الرأسمالية بغية استخدامها للسيطرة على الشعوب الضعيفة، وألح على ان عملية نزع السلاح ستزيل احتمال

التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى وستقضي على انواع الكولونيالية. فاكد الحزب السوفياتي على «ان عملية نزع السلاح ستخلق الظروف الملائمة وستزيد بصورة هائلة كمية المساعدات للدول القطرية التي تأسست حديثاً». (راجع ١٦، - Apologists of Neo Colonialism, Comment on the Open Letter of the Central Committee of the C.P.S.U. IV, Remin Ribao (and Honqi, 22/10/1963, Peking

لكن حقيقة افعال الاتحاد السوفياتي كانت على العكس تماماً من ادعاءاته: لقد دخل الاتحاد السوفياتي في منافسة شرسة مع الولايات المتحدة لبيع السلاح الى بلدان العالم وذلك منذ ١٩٥٦، حين جرت اول صفقة بين الاتحاد السوفياتي ومصر، واخذت الحكومة السوفياتية تجني البلايين من العملة الصعبة عن طريق بيع السلاح الى الحكومات الرجعية في ايران والعراق والكويت واندنوسيا والبرازيل والهند وعدد كبير من الدول الافريقية.

وبمناسبة بيع الحكومة السوفياتية، اثناء الحرب العراقية - الايرانية، صواريخ اس اس ١٢ S.S.12 الى حكومة صدام حسين بعثتُ الرسالة الرسمية التالية باسم قسم الهندسة المدنية والانشائية في جامعة كارديف، وذلك بتأريخ ١٩٨٤/١/٢٩:

«السيد يوري اندروپوف المحترم:

لقد اصابني الفزع حين قرأت في جريدة الگارديان ليوم ٢٧/١/

١٩٨٤ اعلان حكومة بغداد عن استلامها الصواريخ اس اس ١٢ المصنوعة في الاتحاد السوڤياتي.

في الوقت الذي ادرك بأن حكومتكم تجهز الاسلحة الى العراق بموجب اتفاقية بينكم وبين الحكومة العراقية، لاشك انكم تدركون ان العراق قد استخدم، في السابق، هذه الاسلحة للاعتداء على المدن الايرانية وقتل عدة مئات من المدنيين. كما ان الحكومة العراقية قد استخدمت الاسلحة السوڤياتية والفرنسية ومن البلدان الاخرى للقضاء على الانتفاضة في الشمال من قبل الشعب العراقي ضد الحكومة المركزية.

بالتأكيد انك تتفق بأن تجهيز السلاح الى الحكومة العراقية لشن الحرب ضد ايران وضد الشعب العراقي قد احدث آلاماً لا تحصى. سأكون شاكراً ومقراً بالجميل من فخامتكم حين تحجم حكومتكم في المستقبل عن تجهيز بغداد بمثل هذه الاسلحة المدمرة.».

وفي ١٩٨٥/١٢/٢٠ نشرت جريدة صوت الرافدين اللندنية الاستنكار التالي:

«نستنكر بشدة قيام الدكتاتور العراقي صدام حسين (واياديه ملطخة بدماء الالوف من ابناء الشعب العراقي) بسفرة الى الاتحاد السوڤياتي ووصوله الى موسكو يوم ١٩٨٥/١٢/١٦م وذلك بدعوة رسمية من الحكومة السوڤياتية. لقد غادر صدام حسين بغداد دون ان يغسل يديه من دماء المئات من اهالي السليمانية واربيل وكركوك الذين قتلوا بالجملة

قبل بضعة اسابيع من وصوله موسكو.

وبهذه المناسبة المشينة ادعت اذاعة موسكو مساء ١٢/٦ بأن زيارة "رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية صدام حسين الى موسكو ستوثق العلاقات العراقية - السوڤياتية التي ستكون لصالح الشعبين." في حين يعلم كل عراقي مخلص بان الجلاد صدام حسين هو العدو الاول للشعب العراقي ولا يمثل هذا الشعب قيد شعرة.

ان المخلصين من ابناء الشعب العراقي يعتبرون دعوة الاتحاد السوڤيتي لصدام حسين اعتداء صارخاً بحق الشعب العراقي وعاملاً مضراً بمصالحه لأنها تثبّت حكومته وتطيل امد الحرب الظالمة وعلى كافة ابناء شعبنا الكريم استنكار هذه الدعوة بشدة. التوقيع: كمال مجيد - كارديف.».

لقد بعثت بنسخة من هذه المذكرة الى جريدة الغد الديمقراطي الدمشقية ولكن الجريدة لم تنشرها. اما الحزب الشيوعي العراقي فقد كان يبتهج في كل مكان بانجازات غورباجوف في تنفيذ البريسترويكا. كما استمر الحزب في تأييد السياسة السوڤياتية، بما في ذلك بيع السلاح الى البعث الفاشي، حتى نهاية الحرب العراقية - الايرانية. وكانت حجة الحزب صريحة وهي ان امتناع الاتحاد السوڤياتي عن بيع السلاح الى صدام حسين سيشجعه على شرائه من الغرب فتنتهي الدولارات العراقية في البنوك الغربية بدل البنوك السوڤياتية. وهذا يشرح لنا ان الحزب

العراقي كان يعمل كسمسار في تجارة السلاح السوفياتية وكان ينال اجوره لقاء ذلك كما سنرى. في الفصل القادم.

٤ - انهاء الكولونيالية باستخدام هيئة الامم المتحدة

في خطاب لخروشوف في هيئة الام المتحدة في ايلول ١٩٦٠ اقترح على الهيئة العامة اتخاذ الخطوات لقلع النظام الكولونيالي من جذوره وسأل: «من يستطيع القيام بحملة غير هيئة الامم المتحدة، لالغاء النظام الكولونيالي للحكومات ؟ » وكان يوجه كلامه الى حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الاستعمارية التي كانت تسيطر على هيئة الامم المتحدة وتستخدمها لفرض النظام الكولونيالي على الشعوب. ثم قال: «ولهذا اننا نلتمس الى رشد شعوب البلدان الغربية وبعد نظرها ونلتمس الى حكوماتها وممثليها في هذا الاجتماع لهيئة الامم المتحدة. لنتفق على الخطوات اللازمة لالغاء النظام الكولونيالي للدول وبالتالي تعجيل هذه العملية الطبيعية للتأريخ».

لقد كان خروشوف يدرك جيداً ان هيئة الامم المتحدة لا تملك القوة على الغاء الكولونيالية وان القوة الفعلية كانت، وماتزال، بيد الولايات المتحدة. لقد اظهرت الاحداث ان الهيئة واقعة تحت هيمنة المستعمرين وقد استخدموها لشن الحروب العدوانية على الشعب الكوري ومؤخراً،

سنة ١٩٩٠/١٩٩١ ضد الشعب العراقي، في حين ان الهيئة لم تتدخل اطلاقاً لايقاف العدوان الامريكي على ڤيتنام.

وفي كونغو (زايير) وقف الاتحاد السوڤياتي، في مجلس الامن، مع المستعمرين للانقضاض على الشعب في كونغو وعلى قيادة پاتريس لومومبا، وبعد ان تم قتله قرر خروشوف بناء جامعة كارتونية باسم لومومبا بغية ذر الرماد في عيون الغاضبين.

بغية استرضاء المستعمرين ثرثر قادة الاتحاد السوڤياتي حول الحرب، الكبيرة منها والصغيرة، بدعوى ان «حتى شرارة طفيفة تستطيع احداث حريق هائل.» و «ان الحرب العالمية الثالثة ستكون بالضرورة حرباً نووية.». ولهذا اكد قادة الحكومة السوڤياتية والحزب السوڤياتي باستمرار على «ان الحروب المحلية في يومنا هذا خطرة جداً.» و «اننا نعمل بجد ... لاطفاء الشرارات التي قد تولد لهيب الحرب.» وذلك لأن «الاستعمار نمر من الورق ولكن له اسنان نووية.».

لكن الحقيقة الواقعية كانت مرئية لكل الشعوب. لأن الحروب كانت قائمة فعلاً في عدد كبير من بلدان العالم حيث أُفنيت الملايين في كوريا وڤيتنام وايران والعراق وافغانستان وفلسطين ولبنان. وقد جهزت الحكومة السوڤياتية الاسلحة الفتاكة لاحدى الجهتين المتحاربتين او الى الجهتين، وجمعت البلايين من الارباح بالعملة الصعبة. بل كان الاتحاد السوڤياتي حتى لحظة انهياره ثاني بلد في العالم في بيع السلاح.

والاتعس من كل هذا شاركت الحكومة السوڤياتية المستعمرين لاخماد الثورات. فمثلاً رفضت الحكومة السوڤياتية مساندة الثورة الجزائرية بل ايدت الموقف الفرنسي. فعند كلامه حول المسألة الجزائرية قال خروشوف في ٣/ ١٠/ ١٩٥٥: «قبل كل شئ كنت وما زلت اؤمن بان الاتحاد السوڤياتي لا يتدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى (وهنا كان يقصد ان الجزائر جزء من فرنسا.) .». وفي ١٩٥٨/٣/٢٧ صرح خروشوف، في اشارة الى الحرب في الجزائر، لمراسل جريدة الفيگارو بالقول: «اننا لا نرغب لفرنسا ان تضعف اننا نطلب بان تصبح فرنسا اكثر عظمة.». لقد جاء رئيس الحكومة السوڤياتية بهذه التصريحات في قمة الثورة الجزائرية.

وفي كونغو صوت مندوب الاتحاد السوڤياتي في مجلس الامن الى جانب مندوبي الدول الاستعمارية في ١٩٦٠/٧/١٣ لارسال جيش كبير تحت راية الامم المتحدة الى كونغو، الامر الذي فسح المجال للحكومة الامريكية التدخل المباشر في شؤون كونغو مما ادى الى قتل لومومبا من قبل العميل الامريكي تشومبي في مقاطعة كتانگا.

د – مساندة التحريفية العالمية

ان التحريفية السوفياتية التي بشرت بالانتقال السلمي الى الاشتراكية قد نالت اعجاب الاحزاب الشيوعية في الغرب التي نالت التشجيع في السير على الطريق السلمي واتخاذ طريق الانتخابات البرلمانية لتحقيق الاشتراكية، وهو ما لم يحدث حتى يومنا هذا مرة واحدة. لقد ادرك الحزبان الشيوعيان في فرنسا وايطاليا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة عدم امكانيتهما على الاستمرار في حركتيهما المسلحة مع وجود الجيوش البريطانية والامريكية في البلدين. فقرر الحزبان القاء السلاح واتخاذ الطريق السلمي والعمل مع الاحزاب الاشتراكية ومشاركتها في تشكيل الحكومة. وحين سيطرت كتلة خروشوف على الحكم في الاتحاد السوفياتي قدمت التشجيع التام لكلا الحزبين. فقرر توليياتي، سكرتير الحزب الايطالي، اعلان "الطريق الوطني الى الاشتراكية" اسوة بالطريق اليوغسلافي الذي تطور فيما بعد الى نظرية «المساومة التأريخية Historical Compromise» الداعية الى الدخول في حلف مع الرأسمالية الفاسدة لتشكيل حكومة مشتركة لدولة عضوة في الحلف الاطلسي. وبعد فشل الحزب حتى في تحقيق هذا الهدف المعادي لمصالح الشعب الايطالي قرر حل نفسه وتشكيل ما يسمى ب "الحزب الديمقراطي اليساري" بعد ان انفصلت عنه كتلة كبيرة لتأسيس

الحزب الشيوعي (الهيئة المؤسسة) Rifondazione.

اما الحزب التحريفي الفرنسي فقد نجح في استلام بعض المقاعد الوزارية في الحكومة الاشتراكية التي اخذت، اثناء الحرب - العراقية الايرانية تبيع الاسلحة وطائرات سوپرايتندانت المجهزة بصواريخ اكسوسيست الى حكومة البعث في العراق مع تقديم قرض قدره ١٥ بليون دولار. كما الغى الحزبان الفرنسي والايطالي نظرية الدكتاتورية الپروليتارية لماركس مثلما فعل خروشوف قبلهما، في حين ايد الحزب الشيوعي الفرنسي الحكومة الفرنسية الاستعمارية في حربها ضد الشعب الجزائري. ثم تدهور الحزب الشيوعي الفرنسي وفقد شعبيته الى درجة ان الحزب الاشتراكي يرفض الآن اشراكه في الحكومة.

اما في بريطانيا فقد رفع الحزب الشيوعي لهاري پوليت وپالم دَت شعار «الطريق البريطاني للاشتراكية» سنة ١٩٥٣ حتى قبل المؤتمر العشرين للحزب السوڤياتي وعمل الحزب البريطاني على ترك الطريق الثوري والاعتماد على الانتخابات البرلمانية ولكن دون الحصول على مقعد واحد في البرلمان البريطاني منذ ان رفع هذا الشعار. وبطبيعة الحال ايد الحزب البريطاني "الطريق السلمي للاشتراكية" الذي تبناه الحزب السوڤياتي وكانت النتيجة بالنسبة للحزب البريطاني هي الانشقاق، نتيجة لخيبة امل الاعضاء، الى ثلاثة اقسام متخاصمة ثم اعلن الجناح الاقوى، الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى .C.P. G.B ، حل نفسه

بينما قرر الجناحان الآخران .N.C.P و .C.P.B السير وراء حزب العمال الجديد لتوني بلير عن طريق نصيحة اعضائهما بالتصويت لحزب العمال اثناء الانتخابات. وتبلغ عضوية الحزبين حوالي ٣٠٠ شخص في عموم بريطانيا.

تحريفية برجنيف

لقد ادركت الاكثرية في المكتب السياسي للحزب السوڤياتي تخلف خروشوف السياسي حين جعل من نفسه مضحكة للعالم حين نزع حذاءه في ايلول ١٩٦١ في هيئة الامم المتحدة وضربها على المنضدة وهو يصرخ الكلمات البذيئة ضد الوفد الاسباني. ثم اصابت كافة الاحزاب المؤيدة للتحريفية السوڤياتية بخيبة الامل سنة ١٩٦٢ حين اعلنت الحكومة السوڤياتية عن هزيمتها امام الضغط الامريكي وسحبت صواريخها من كوبا حتى دون الاستشارة بكاسترو، الذي غضب على الحزب السوڤياتي، فاضطرت الحكومة السوڤياتية الى ارسال ميگويان الى كوبا والبقاء هناك لسنة كاملة لاقناع كاسترو على القبول بالقرار السوڤياتي، بعد أن احتج چي گيڤارا ضد المهزلة كلها وقرر ترك كوبا لاعلان الثورة في مكان آخر من العالم، ككونغو وبوليڤيا.

لهذه الاسباب وكثير غيرها قررت القيادة السوڤياتية ازاحة

خروشوف، في غيابه، عن كافة مسؤولياته الحزبية والحكومية في ايلول ١٩٦٤ ولكن دون ان تغير الحكومة السوڤياتية سياسة خروشوف قيد شعرة، اذ رفض الحزب السوڤياتي اعادة الدكتاتورية البروليتارية او رد الاعتبار لستالين اوحتى اضافة كلمة البولشفي الى اسم الحزب. واستمر الحزب في الادعاء بان الصراع الطبقي قد انتهى في الاتحاد السوڤياتي. لكن الحزب اخذ التقليل من استخدام عبارة "التعايش السلمي" وعوض عنها بعبارة "الوفاق الدولي"، بعد ان وقعت الحكومة السوڤياتية على اتفاقية بهذا الاسم مع الولايات المتحدة. لكن بقي الحزب والاحزاب المؤيدة له يثرثرون حول السلام العالمي في كل مناسبة وغير مناسبة.

وفي السياسة الاقتصادية قررت حكومة برجنيف تخويل مجالس ادارة المؤسسات الاقتصادية، كالمصانع والمزارع التعاونية، بتنظيم سياستها الانتاجية بصورة تضمن الربح الصافي لتلك المؤسسات. وسمحت الحكومة للمزارع التعاونية بتخصيص قطع خاصة في كل مزرعة للانتاج الفردي. الامر الذي احدث المنافسة بين المؤسسات الحكومية لغرض الحصول على اقصى الارباح، كما شجع الفلاحين على التركيز على قطعتهم الخاصة وبيع منتجاتهم في السوق السوداء (السوق الحرة) التي لا تخضع للاشراف الحكومي. وتدريجياً انتشر الفساد والرشوة والسرقات والسوق السوداء وقد اشترك عدد كبير من اعضاء الحزب الشيوعي العراقي الموجودين في الاتحاد السوڤياتي في هذه الجرائم. ومن اشهر

المجرمين في هذا المجال كان صهر برجنيف الذي اشترك مع سكرتير الحزب في قازاقستان في تكوين مؤسسة كبيرة لسرقة ثروة الدولة واستخدامها لغرض الربح الشخصي. فعمت مرحلة الركود والتقهقر. ثم تم فتح الباب امام الشركات الاجنبية الاستعمارية للدخول الى الاتحاد السوڤياتي واوروپا الشرقية واستغلال الطبقة العاملة فيها لجمع الارباح البليونية وتراكمت القروض وبلغت سنة ١٩٨٥ حوالي ٣٠ بليون دولار. ثم اعلن غورباجوف في ١٦/٣ /١٩٨٨ في بلغراد عن «ضرورة احداث السوق الاوروپية المشتركة لتشمل شرق اوروپا وغربها.» بما في ذلك الاتحاد السوڤياتي. واخيراً انتهى غورباچوف ويلتسن وبقية قادة الاتحاد السوڤياتي والحزب الشيوعي بتحطيم المعسكر الشرقي بكامله وتفتيت دوله. هكذا بدأت التحريفية المعاصرة بلبس جبة السلام مع الامپريالية و الطريق السلمي نحو الاشتراكية وانتهت بعد ٣٥ سنة بالاعلان عن الرأسمالية وحكم المافيا.

الفصل السابع

اثر التحريفية على الشعب العراقي

لقد اصيب الشعب العراقي عموماً والشيوعيون بصورة خاصة بافدح المصائب جراء تصرفات الحزب السوڤياتي المعادية للشعوب وللحركة الشيوعية. اذ اقترح الحزب السوڤياتي، عن طريق حزب تودة الايراني، على الحزب الشيوعي العراقي المنشق على القبول بالخط السوڤياتي الجديد والاتفاق مع كتلة عزيز شريف (كتلة وحدة الشيوعيين) المعادية لفهد. فقرر الحزب العراقي عقد كنفرنسه الثاني في خريف ١٩٥٦.

ويقول عامر عبدالله، عضو اللجنة المركزية منذ ١٩٥٤، في مقابلة له (راجع ١٧، عامر عبدالله، مقابلة في مجلة الابواب، العدد ٢، منشورات دار الساقي، ١٩٩٤، الصفحة ١٧٩) بان ربط سياسة اللجنة المركزية بالسياسة الجديدة للحزب السوڤياتي كان قد تم في هذا الكنفرنس وذلك حين تم انتخابه عضواً في المكتب السياسي. فيقول: «يومها كتبت الوثيقة التي ركزت على حق تقرير المصير للشعب الكردي ... كذلك طالبت، بعد ادانة النظام بشدة، بالانتقال السلمي الى الاشتراكية، تأثراً باجواء وطروحات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوڤياتي.». اي انه استخدم حقوق الشعب الكردي وادانة النظام بشدة بغية التغطية على سياسة السير وراء التحريفية السوڤياتية.

وفي خطاب القاه مندوب الحزب الشيوعي العراقي في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب السوڤياتي في موسكو، اكد المندوب العراقي على:-

«ايد الكنفرنس (الثاني للحزب العراقي سنة ١٩٥٦) بالاجماع قرارات المؤتمر العشرين واستنتاجاتها النظرية الهامة.» واعتبر الكنفرنس المؤتمر العشرين «انعطافاً تأريخياً غير مجرى الاحداث.». وفيما يتعلق بالحزب الشيوعي العراقي فان: «قرارات واستنتاجات ذلك المؤتمر كانت ذات اثر بعيد في حياته ونشاطه.». اي بحلول المؤتمر الثاني والعشرين للحزب السوڤياتي، قبل الحزب العراقي الخضوع لسياسة التحريفية السوڤياتية بصورة كلية.

ونتيجة "الاثر البعيد" لهذه السياسة على نشاط الحزب "الشيوعي" العراقي انتهى هذا الحزب في مستنقع الانتهازية ودفع الثمن نتيجة لذلك، بما في ذلك حياة الألوف من اعضاء الحزب ومؤيديه. ونتيجة لهذا "الاثر البعيد" على حياة الحزب ونشاطه انهار الحزب سنة ١٩٦٣، ثم انشق على نفسه ثم انهزمت فلول الكتلتين الى انحاء العالم وبريطانيا بصورة خاصة.

لقد نشر عامر عبدالله جزءاً من مذكراته يشير فيها الى سفرة قام بها سنة ١٩٥٧ الى موسكو وقابل تيريوشكين، المسؤول عن شؤون آسيا وافريقيا في اللجنة المركزية للحزب السوڤياتي واخبره حول امكانية الثورة المسلحة في العراق بمساعدة الجيش. فجن جنون تيريوشكين لعدم

تمسك الحـزب الشـيوعي العـراقي بسيـاسة "الطريـق السلمي". فـوبخه تيريوشكين:

«تقولون فـي تقريركم ان عـضوية حزبكم صـغيرة لا تـتجاوز الألف عضو... اذن فـالاجدى ان تركزوا جهودكم على التوعـية والتثقيف وان تصرفـوا النظر "عن انقلابات القصور" ...» ويسـتمر عـامر: «وقد بدا واضحاً، انهم (اي السـوفيـات) كانوا مـصـممين على اقناعنا بـتعديل وجهتنـا وبالتزام الطريق الصحيح الذي يعتقدون انه الاصوب والاجدى لحزبنا وشعبنا، ولكنهم اذ وجدونا مـتمسكين بمواقفنا بعناد وحزم لجأوا الى التحذير، فـوصف الرفيق (تيـريوشكين) تـوجهـنا بأنه «توجه خطر» وبأننـا نسـتـرشـد بـ «افكار خطرة.» ! ». (راجع ١٨، نجم مـحـمـود، المقايضة - برلين - بغداد، منشورات الغد، لندن، الصفحة ١٠٨).

تؤكد هذه التصريحات لعامر عبدالله على ان الحزب الشيوعي العراقي كان حتى سنة ١٩٥٧ يتـمتع ببعض من الاستقلالية بالرغم من قـرارات الكنفـرنس الثـاني للحـزب، مما حث الحـزب السـوفـيـاتي، عن طريق تيريوشكين، على المزيد من الضغط بغية اجبار الحزب العراقي، عن طريق "التحذير"، على الرضوخ. وهذا ما حدث فعلاً.

فبعد ثورة ١٤ تموز وارتفاع شأن الحزب "الشيوعي" العراقي والتفاف «اغلبية الجماهير» حوله في طول العراق وعرضه الح الحزب السوفياتي على الحزب العراقي بضرورة تأييد حكومة عبد الكريم قاسم بصورة كاملة

ودون تردد. ففي كانون الثاني ١٩٥٩ سافر وفد اللجنة المركزية للحزب العراقي الى موسكو لحضور المؤتمر الحادي والعشرين، الذي افتتح في ١٩٥٩/١/٢٧، والقاء كلمة فيه باسم الحزب "الشيوعي" العراقي. الا ان الحزب السوڤياتي رفض كلمة الحزب العراقي لعدم تطابقها مع سياسة الحزب السوڤياتي ازاء التأييد المطلق لشخص عبدالكريم قاسم (ذلك الزعيم الذي سيطر على الحكم عن طريق "انقلاب القصور" حسب تيريوشكين). فتم تأجيل موعد القاء كلمة الحزب العراقي لمدة يومين الى ان اجبر الوفد العراقي على القبول بالاوامر السوڤياتية. فيقول بهاءالدين نوري، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي آنذاك:

«كان ذلك على سبيل المثال، في شباط ١٩٥٩، حين اخرت القيادة السوڤيتية القاء كلمة الوفد العراقي امام المؤتمر الحادي والعشرين للحزب السوڤيتي طوال يومين كاملين، بسبب خلو تلك الكلمة من الاشادة بشخص قاسم واصرار القيادة السوڤيتية على تضمينها هذه الاشادة. وقد رضخ الوفد العراقي دون الاقتناع وسمى في كلمته عبدالكريم قاسم بـ «ابن الشعب البار». (راجع ١٩ صدى القاعدة، العدد ٤، ايلول ١٩٨٩). لاحظ: لم يملك الحزب الشيوعي العراقي حتى حق تقديم كلمة باسمه بطريقته الخاصة.

ثم قرر الحزب الشيوعي العراقي تبني سياسة المشاركة في حكومة عبد الكريم قاسم، (راجع ٢٠، اتحاد الشعب، مقالة باسم هيئة التحرير

بعنوان: مساهمة الحزب الشيوعي في مسؤولية الحكم اصبح ضرورة وطنية ملحة، ١٩٥٩/٤/٢٨).وجاء هذا القرار طبقاً لرغبات "اغلبية الجماهير" العراقية التي خرجت في مظاهرات مليونية في اول آيار (مايس) وهي تهتف: «الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيم». الا ان قرار الحزب ومطالبة الجماهير المليونية جاء مخالفاً لرغبات التحريفية السوڤياتية. فتلقى الحزب الشيوعي العراقي مذكرة سرية من اللجنة المركزية للحزب السوڤياتي، ويقول بهاءالدين نوري: «ان المذكرة سلمت الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في آيار او حزيران... وقرئت من قبل اعضاء القيادة الحزبية. وكانت فحوى المذكرة تخطئة موقف الحزب الشيوعي العراقي في حملته للمشاركة في الحكم واعتبارها تطرفاً "يسارياً" واقتراح ايقاف حملته الدعائية لتسليط الضغوط على قاسم.» (راجع ١٨، الصفحة ٢٣٧). ويقول نجم محمود: « ... من المرجح ان تكون المذكرة قد سلمت الى قيادة الحزب الشيوعي العراقي قبل يوم ١٩٥٩/٥/٢٢، وهو ما يفسر تغيير موقف الحزب فجأةً وبدون سابق انذار، حين اصدر المكتب السياسي للحزب في اليوم المذكور قراراً بايقاف الحملة التثقيفية للمشاركة في الحكم، نشرته صحيفة (اتحاد الشعب في اليوم التالي) . » (نفس المصدر ١٨، الصفحة ٢٣٧). الامر الذي يؤكد على الرضوخ الكلي للحزب "الشيوعي" العراقي لقرارات التحريفية السوڤياتية. وكلف هذا الرضوخ الشعب العراقي الوف الضحايا من قتلى

وجرحى وسجناء ومشردين. لقد ادرك المستعمرون وعملاؤه في حزب البعث والحركات الاسلامية الجديدة التي تشكلت خصيصاً لمحاربة الشيوعية، عدم استقلالية قرارات الحزب الشيوعي العراقي بل انسحابه الى الوراء في قمة المد الثوري للشعب العراقي. فقرر المستعمرون المبادرة بالهجوم العنيف، وبدون رحمة، وقاموا باغتيال الالوف من خيرة ابناء الشعب العراقي حين وقف الحزب الشيوعي مكتوف الايدي، لا يقوم بشئ سوى حضور مراسيم دفن القتلى التي اصبحت عادة يومية في كل انحاء العراق وفي الموصل وكركوك وبغداد بصورة خاصة. استمرت الحالة بهذا الشكل الى ان انتهت بانقلاب ١٩٦٣/٢/٨ وذبح الالوف من الشيوعيين والمستقلين مع القاء القبض على الوف آخرين وايداعهم في السجون.

وبهذا الخصوص كتب بهاءالدين نوري قائلاً:

«في الظروف الحساسة والبالغة الدقة والخطورة، التي مرت على الحركة الشيوعية في العراق، ابان عهد قاسم، مارست القيادة السوفيتية التدخل المباشر لحمل قيادة ح. ش. ع. (الحزب الشيوعي العراقي) على اتباع نهج يميني خاطئ ازاء سلطة قاسم ... وعلى سبيل المثال، في ايار - حزيران ١٩٥٩، حين انتقدت القيادة السوفيتية مطالبة ح.ش.ع. بالمشاركة في السلطة، بذريعة ان هذه المطالبة تطرف يساري. لقد كانت الغالبية الساحقة من العناصر القيادية في ح.ش.ع. تميل الى انتهاج

سياسة ثورية تفضي الى استلام السلطة. لكن الجميع كانوا يقّدسون رأي القيـادة السوفيـاتيـة، وكانوا مستعدين للأخذ بها عمليـاً حتى وان لم يقنعوا بها، فيما كانت القيادة السوفيتية تشجع فقط على دعم نظام قاسم وليس على انتزاع السلطة للشيوعين انفسهم.» ثم يقول:

«وهكذا فان قيادة الحزب السوفيتي تشارك بقسط كبير في تحمل المسؤولية عن دفع ح.ش.ع. الى الانحراف اليميني وبالتالي عن اضاعة الفرصة التأريخية امام الشيوعيين في عهد قاسم.» (راجع ١٨).

هكذا انتهى الحزب الشيوعي العراقي في مستنقع التبعية ففقد ثقة الشعب وانتهى بتسليم اعضائه الى قصر النهاية حالما سيطر البعث الفاشي على الحكم في ١٩٦٣/٢/٨.

والظاهر ان بهاءالدين نوري، عضو المكتب السياسي سنة ١٩٦٠، كان له بعض العطف تجاه الحزب الشيوعي الصيني، فنشر في جريدة اتحاد الشعب في الفترة بين ٨ و ١٨ مايس الترجمة العربية لمقال «تحيا اللينينية» للحزب الصيني، علماً ان الحزب العراقي كان على علم بوجود خلاف بين الحزبين الصيني والسوفياتي منذ ١٩٥٧ حين حضر عامر عبدالله وجمال الحيدري موسكو، كما ذكر اعلاه، اذ اجتمعت في تلك السنة وفودٌ من الاحزاب الشيوعية العالمية هناك لبحث النتائج السيئة التي احدثها المؤتمر العشرون للحزب السوفياتي. وكان ماو تسي تونغ نفسه يقود الوفد الصيني. فقيام بهاءالدين بنشر مقالة صينية خطرة في

جريدة الحزب الرسمية كان بمثابة الوقوع في الشرك. فيقول:

«في تشرين الاول ١٩٦٠ ارسلت على رأس وفد الحزب للمشاركة في الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية المنعقد في موسكو. ودون أي طلب او رغبة مني قرر المكتب السياسي للحزب ابقائي في الخارج (للدراسة). وفي وقت لاحق جرت تنحيتي من المسؤوليات القيادية وجمدت عضويتي في الحزب بتهمة مشاركتي في تكتل يميني مزعوم، اضافة الى اتهامي انا شخصياً بأني لم انفذ السياسة المرسومة، ولم اتحيز بالقدر الكافي الى جانب الرفاق السوڤييت ضد الرفاق الصينيين في مناقشات الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية.» (راجع ٢١، بهاءالدين نوري، صدى القاعدة، العدد ١، السنة الاولى ، كانون الثاني، ١٩٨٩.). اي ان الحزب "الشيوعي" العراقي اخذ يسير مع الحزب السوڤياتي بصورة كاملة فحشر نفسه الى الجانب السوڤياتي في خلافاته مع الصينيين حول الانتقال السلمي الى الاشتراكية والقرارات التحريفية الاخرى للحزب السوڤياتي المذكورة اعلاه. وقد جاء هذا الحشر من قبل الحزب العراقي في ظروف حرجة جداً بالنسبة للشعب العراقي حيث كانت ثورة الردة في مرحلة متقدمة، اذ اتفق البعث مع الناصريين والاحزاب الاسلامية والقومية الاخرى بغية قتل الشيوعيين كل يوم في الموصل وكركوك وبغداد وحين قرر الحزب الكردي لمصطفى البارزاني وجلال الطالباني حمل سلاح الشاه واسرائيل بغية اعلان العصيان المسلح ضد عبدالكريم قاسم لاسقاطه

ولذبح الشيوعيين بالجملة كما حدث بعد سنتين واربعة اشهر عن اجتماع موسكو للاحزاب الشيوعية. لقد كان الحزب الشيوعي العراقي في غنىً من هذه المهاترات السوڤياتية التي اثرت تأثيراً سلبياً سيئاً على الشعب العراقي المصاب بخيبة الامل والتشاؤم في تلك الايام، حيث كانت مئات العوائل العراقية، الشيوعية، لا تستطيع النوم ليلاً في بيوتها خوفاً من الاغتيالات الجارية كل ليلة.

وبعد سيطرة التحريفية السوڤياتية على مقدرات الحزب الشيوعي العراقي والاحزاب الاخرى التي انحازت اليها، اقترح الاتحاد السوڤياتي على الشيوعيين في البلدان المتأخرة والعالم العربي بالاخص القيام بحل احزابهم والدخول في الاحزاب الحكومية. فيقول زكي خيري، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي منذ ١٩٥٨، وهو يتكلم عن فكرة حل الاحزاب الشيوعية:

«ووقع الشيوعيون الجزائريون في نفس الخطأ الذي وقع فيه رفاقهم المصريون اذ حلوا حزبهم تضامناً مع بن بلة.» (راجع ٢٢، زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم، مركز الحرف العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، الصفحة ٢٥٧). ويعلل زكي خيري هذا التصرف للحزب الجزائري بالاعتماد على بانيماريوف، عضو المكتب السياسي للحزب السوڤياتي والمسؤول عن العلاقة مع الاحزاب الاجنبية، الذي قال «لاحد الرفاق العرب البارزين: لماذا تبقى في الوجود احزاب

شيوعية ضعيفة التأثير على الحياة السياسية في بلادها ؟ ».مما يثبت ان السيد پانيماريوف كان يجهل مبادئ الماركسية حول دور الاحزاب الشيوعية في تنظيم الطبقة العاملة.

وكذا الحال مع الحزب الشيوعي العراقي. فبعد اعلان حكومة عبدالسلام عارف في ١٤ تموز ١٩٦٤ عن تأميم بعض المشاريع الاهلية بعد اعلان برنامج حزب "الاتحاد الاشتراكي العربي" لم يتوان المركز الحزبي للشيوعيين في بغداد عن اعلان الرغبة في انضمام الشيوعيين العراقيين الى صفوف هذا الحزب الجديد لعبد السلام عارف. ويقول زكي خيري (نفس المصدر ٢٢ الصفحتان ٢٥٧ و ٢٥٨):

«وقد توسع في هذه الرغبة ونظّر لها الاجتماع الموسع للجنة المركزية (للحزب الشيوعي العراقي) المنعقد في آب ١٩٦٤ في پراغ بقيادة عزيز محمد والذي انتخب عزيز محمد سكرتيراً اولاً للحزب الشيوعي العراقي. واعلن الاجتماع: "ضرورة توسيع اطار هذه المنظمة «الاتحاد الاشتراكي» لتشمل جميع القوى الثورية في البلاد وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي. وفي هذه الحالة يمكن للاتحاد ان يتطور في ظروف ديمقراطية واسعة ليصبح اداة لتحقيق تحالف شعبي واسع .... وان يتحول بالنتيجة الى شكل سلطة سياسية شعبية قادرة على تطبيق برامج تقدمية جريئة تستهدف تحولات عميقة في الاقتصاد وبناء المجتمع وتنظيم الدولة." ». وهكذا استرسل اجتماع آب/ ١٩٦٤ بالاوهام.». اي

ان الحزب الشيوعي العراقي، بكامل لجنته المركزية الموسعة، ادرك منذ ١٩٦٤ نهاية دوره في الحياة السياسية العراقية ونظّر بصورة جدية الانضمام الى حزب الحكومة التي كان يترأسها شخص جاهل مثل عبدالسلام عارف !

ثم الح برجنيف على ضرورة مشاركة الحزب الشيوعي العراقي في حكومة الجبهة البعثية - "الشيوعية" المضرة بمصلحة الشعب العراقي فيقول عامر عبدالله (راجع ٢٣، مجلة الابواب، العدد ٣، دار الساقي، ١٩٩٤، الصفحة ٢١٧) وهو يتكلم عن اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي:

«غير ان عزيز محمد مالبث ان وصل حاملاً توصية من موسكو مفادها انه ينبغي ان نتفاهم مع النظام الذي كان، في حينها، يزايد بشعارات يسارية. فالسوڤيات كانوا يرون ان الاتفاق هو المهم وماعداه تفاصيل، وانطباعهم كان ان البعث سيتجاوب مع مطالبنا، خصوصاً انهم يقدمون على سياسة نفطية جديدة.».

وبخصوص الجبهة مع البعث الفاشي يقول باقر ابراهيم، عضو المكتب السياسي حينذاك، في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه «دراسات في الجبهة الوطنية»(راجع٢٤، الملف العراقي، العدد ١٠٤، لندن،آب ٢٠٠٠م، الصفحات ٣٧ - ٤٠):

«وبالطبع فان الاتحاد السوڤياتي مارس ضغطاً آخر على القيادة

الشيوعية من اجل نصحها للتوصل الى حلول مرنة ومقبولة لموضوعات الجبهة....وهنا اختلف مع الذين يشجبون هذه النصائح من جانب السوفيات او يعتبرونها تدخلاً في الشؤون الداخلية للحزب الشيوعي ....» مما يدل على انشقاق الاراء داخل الحزب الشيوعي حول الضغط السوڤيتي. ويؤكد باقر ابراهيم على ان الحزب الشيوعي لم يكن خاضعاً للضغط السوڤيتي وحده بل كان ايضاً معرضاً بين تموز ١٩٦٨ وحتى اعلان الجبهة في ايلول ١٩٧٣، اي لمدة خمس سنوات الى «الكثير من الملاحقات والاغتيالات والتصفيات في قصر النهاية» الى درجة ان «المركز القيادي في الحزب، في بغداد، قد خلا لفترة غير قصيرة من اعضاء القيادة عدا بعض عناصرها وهم، زكي خيري وباقر ابراهيم وعدنان عباس ونزيهة الدليمي. وكانوا لا يستطيعون التحرك الا بصعوبة بالغة.»

يقول ايضاً: «ان موقف قيادة الحزب الحاكم، كان معروفاً ومعلناً، وليس فيه اي غموض او التباس، وهو ان حرية الحزب بالوجود والعمل، مشروطة بالموافقة على التحالف ضمن اطار الجبهة ولا يوجد اي خيار آخر سوى **التصفية**.».

اى ان التحريفية السوڤيتية الخائنة وحدت جهودها مع البعث الفاشي لاخضاع الحزب الشيوعي العراقي واستسلامه الى مجرم الحرب صدام حسين وجلاوزته والقبول بقيادة الفاشية وسيطرتها على الحزب التحريفي

العراقي. ومن ثم **تصفيته**.

لقد كان هدف البعث واضحاً وهو القضاء على اثر الشيوعية(حتى بشكلها التحريفي) من العراق. فيقول عادل درويش وگريگوري الكساندر في كتابهما(راجع٢٥، Adel Darwish and Gregory Alexander, Unholy Babylon, Victor Gollancz Ltd., London, 1991)في الصفحة ٢٠٦:

«لقد اقنع صدام حزب البعث على دعوة الشيوعيين لتشكيل حكومة الجبهة الوطنية وسمحت هذه الخطوة باظهار العراق وكأنه يطبق سياسة واعية ضد الغرب والتي ضمنت معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوڤيتي الذي جهز السلاح لبغداد. ولكن، وفي نفس اليوم الذي وقع فيه الرئيس ميثاق الوحدة الوطنية مع الشيوعيين، وزع صدام نشرة بين اعضاء جهاز حنين بعنوان «*كيف نقضي على الحزب الشيوعي*»».

وفي خلال خمس سنوات من عمر الجبهة تمكن البعث الفاشي من كشف كافة اسرار الحزب الشيوعي والتعرف على كل عضو فيه، كما اجبر الحزب الشيوعي على التخلي عن كافة المنظمات الجماهيرية، التي **لم تكن ملكاً للحزب** على اي حال، مثل نقابات العمال واتحاد الطلبة والشبيبة ورابطة المراءة والجمعيات الفلاحية، واجبرهم ايضاً على حل المنظمات الشيوعية في الجيش، بل اجبر الحزب الشيوعي على حمل السلاح البعثي للهجوم على الحزب الديمقراطي الكردي وتقديم اعضاء الحزب، دفاعاً عن الفاشية، الى الموت، بغية قتل الاكراد. (راجع ٢٦،

زكي خيري، صدى السنين في كتابات شيوعي عراقي مخضرم، ١/١/ ١٩٩٦، ستوكهولم، الصفحتان:٦٨ ، ٣٦٥، و غيرهما.)

وفعلاً انظم الحزب الشيوعي العراقي الى هذه الجبهة المشؤومة وكانت هذه العملية جريمة كبرى بحق الشعب العراقي لا لكونها ثبتت البعث الفاشي في الحكم فحسب بل لان الحزب الشيوعي رفع سلاح البعث وقام بقتل عدد كبير من ابناء الشعب الكردي دفاعاً عن الفاشية. (للتفاصيل راجع كتابات احمد باني خيلاني، عضو اللجنة المركزية ،وزكي خيري وبها ءالدين نوري في المصدر رقم ٣). هكذا دخل الحزب الشيوعي في مستنقع الجريمة وفقد احترام الشعب العراقي الى الابد. ثم ان قيام الحزب بتسليم نقابات العمال والمنظمات الجماهيرية الى الحكومة افقده جماهيره فاضطر قادة الحزب الى مغادرة العراق الى الاتحاد السوڤياتي وثم الى البلدان الاستعمارية. اما الباقون فقد تمت تصفيتهم او طردهم من العراق. ويؤكد باقر ابراهيم على تصفية الحزب ويصفها بـ«الهجرة الشاملة ... وتم تحويل الحزب الى حزب مهاجر لتنفيذ هذه الوجهة، ومعها قطعت عملياً، كل الجسور مع الداخل...» (نفس المصدر٢٤).

اي كان البعث بحاجة الى خمس سنوات للقضاء على الحزب فدخل في الجبهة لاتمام مهمته وليس لتحقيق اية مصلحة وطنية او قومية او تقدمية ، بينما تمكنت التحريفية البرجنيڤية المجرمة باستغلال جهل قادة الحزب التحريفي العراقي وتقديم الحزب كعربون الى البعث بغية الحصول على

صفقات بيع الاسلحة الى البعث الفاشي ونيل البلايين من الدولارات البترولية وهذا ما حدث ! ، بينما يعتقد باقر ابراهيم «ان الجبهة قد استبعدت التصفية المبكرة للحزب طيلة السنوات الخميس المذكورة» ولهذا « تم القبول بخير الشرين»، (نفس المصدر ٢٤) بل اسواء الشرين ، ذلك لأن الجبهة انتهت «**بتصفية**» الحزب الشيوعي العراقي بصورة كلية وتحويله «الى حزب مهاجر» في اوروبا الى درجة ان اضطر الحزب الى ربط مساعيه «لمواصلة هذه السياسة بتعليق الآمال على القوى الخارجية المعادية وعلى «حلولها» وتأييد الحصار والعدوان الامپريالي المستمر على العراق. »(نفس المصدر ٢٤). وكنتيجة مباشرة للسير وراء التحريفية السوڤيتية ودخول الجبهة التي ادت الى «الهجرة الشاملة» قام الحزب التحريفي العراقي بتأييد القوات "المتحالفة" في قصف العراق عن طريق الدخول في المؤتمر "الوطني" لاحمد الچلبي وتأييد الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي المنكوب وذلك منذ يوم اعلانه في ٥/٨/ ١٩٩٠ وحتى مؤتمر الحزب السادس في ١٩٩٧.

لا يمكن تفسير ما قام به الحزب الشيوعي باية طريقة منطقية سوى انه كان ينال الملايين من الدولارات من الحزب السوڤياتي بعد ان جعل من نفسه عميلاً للتحريفية المعاصرة. ففي تصريح لاناتول سميرنوف، الموظف في اللجنة المركزية للحزب السوڤياتي، الى مجلة الوسط اللندنية، (راجع ٢٧، العدد ١٥ في ١٩٩٢/٥/١١) يقول بأن «الحزب الشيوعي العراقي

كان يستلم ٣٥٠ الف دولار سنوياً من الحزب السوفياتي وقد بلغ مجموع ما استلمه الحزب العراقي ٤,٢ مليون دولار، بما في ذلك ما قبضه عزيز محمد شخصياً والبالغ ٥٥,٧٤٩ دولار في ١٩٨٧/٢/٢٤ ومئة الف دولار اخرى في ١٢/٩/ ١٩٨٨» .

ان ما ورد اعلاه من الحقائق التي قدم معظمها قادة الحزب الشيوعي العراقي انفسهم يثبت لنا بان التحريفية السوفياتية المعاصرة لعبت دوراً كبيراً في خلق المصائب المدمرة للشعب العراقي المظلوم. وبالطبع اشترك الحزب الشيوعي العراقي في تنفيذها وتقع عليه وعلى كافة اعضائه مسؤولية كبيرة ايضاً.

استمرت جرائم التحريفية السوفيتية بحق الشعب العراقي حتى يوم سقوطها في نهاية ١٩٩١، اذ شاركت حكومة غورباجيف، في مجلس الامن بكل حماس، البلدان الاستعمارية الغربية ، والانگلو - امريكية بصورة خاصة، في فرض كافة القرارات المجحفة بحق الشعب العراقي المنكوب، بما في ذلك قرار الحصار الاقتصادي دون قيد او شرط والقرار ٦٨٧ الذي جرد السيادة السياسية والاقتصادية من الشعب العراقي المنكوب. وقد ايد الحزب الشيوعي العراقي الحكومة السوفيتية حتى النهاية بحجة الديمقراطية والتعددية والپريسترويكا وگلاسنوست . ولهذا فقد هذا الحزب احترام الشعب بصورة كلية.

الفصل الثامن

حاضر حركة التحرر العالمية ومستقبلها

من الواضح ان البلدان الاستعمارية تسيطر على البلدان الاخرى لا لمجرد استغلالها فحسب بل لاستخدام شعوبها كقوة احتياطية تستخدمها لاغراضها السياسية والعسكرية. فلقد اكد الفيلد ماريشال ميخائيل كارفر، رئيس اركان الجيش البريطاني بين ١٩٧٣ و١٩٧٦ (راجع ٢٨ Field Marshal Michael Carver, War since 1945 ,Ashfield Press, London, 1990) على استخدام بريطانيا، مثلاً، للگوركة الهنود والاعتماد على الجيوش التي جندتها من سكان شرق افريقيا لاخماد الثورة في مناطق اخرى مثل ملايو وبورنيو وعدن وكينيا. فالعالم اليوم ينقسم الى معسكرين: معسكر يتكون من عدد قليل من البلدان "المتمدنة" التي تملك المال وتستغل الاكثرية الساحقة من شعوب العالم، ومعسكر الشعوب المظلومة المستغَلة التي تكّون الاكثرية من سكان الكرة الارضية، والبالغ عددهم اربع بلايين انسان (راجع الجدول رقم ٨ في المصدر ٣). وتشكل هذه الشعوب المنكوبة، بالرغم من مشاكلها المتفرقة، قوة احتياطية جبارة مساندة للمستعمرين. لقد تم البرهان على ذلك اثناء حرب الكويت حين انضمت جيوش بنگلاديش

ومصر وپاكستان الجائعة الى جانب القوات الامريكية لقتل ربع مليون جندي عراقي مكلف. (راجع ٢٩، كمال مجيد النفط والاكراد، دار الحكمة وWoodsstock Publishing، لندن ١٩٩٧، الصفحات ٩٣ الى ١٣٥). وغالباً يستخدم المستعمرون الشعوب المنكوبة في حروب دموية مع بعضها البعض لتحقيق اغراض خاصة بالمستعمرين انفسهم الذين يقومون ببيع السلاح الى الطرفين كما حدث اثناء الحرب العراقية - الايرانية فتجمع شركات انتاج السلاح بلايينها من الدولارات.

بعد فشل الدعايات الضحلة حول امكانية التحرر بالطرق السلمية او بالاعتماد على الاستعمار الانكلو - امريكي، اتضح ان **الكفاح الثوري** للشعوب المظلومة والتابعة هو **الطريق الوحيد** والمتاح لهم **للانعتاق والتحرر** من المستعمرين.

ان تكوين وتوحيد الحركات التحررية ثم الهجوم على الحكومات العميلة التابعة بكل الطرق، كالاضرابات والاعتصامات والوثبات والعمليات المسلحة، سيخلق ازمة مستعصية للرأسمالية وشركاتها العملاقة، كما هو الآن في كولومبيا حيث اضطرت شركة النفط البريطانية الى تكوين جيش خاص من المرتزقة بغية قهر الثورة هناك (راجع ٣، الصفحات ١٢١ الى ١٢٤)، وبالتالي تتحول الشعوب المنكوبة من قوة احتياطية مدافعة عن السيطرة الامبريالية الى قوة ايجابية تكافح لقهرالمستعمرين.

ان ازدياد شراسة الاستعمار وتقهقر حركة التحرر العالمية يعلمنا عدداً من الدروس الضرورية لكي نثبّت المستلزمات الجديدة للحركة والتي تتلخص باعتقادي كما يلي:

١ - ان انتشار الشركات العابرة للاوطان في كل انحاء العالم عن طريق تصدير رؤوس اموالها الى الخارج، في عملية يسميها المستعمرون بـ «العولمة» جعلت البلدان المستوردة لهذه الاموال عاجزة عن توسيع رأسمالها المحلي الخاص (الوطني او القومي) فاضطرت الى الخضوع لاصحاب رؤوس الاموال الاجانب. كما تمكنت الشركات العملاقة، والحكومات الغربية التي تسندها، من فرض جبروتها على البلدان المقهورة ومنعها من التحرر من قبضتها والاكتفاء بحكومات محلية هزيلة موالية للشركات بل تستطيع البقاء في السلطة فقط عن طريق القبول بشروط واوامر هذه الشركات. ففقدت الدولة القطرية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية واوروبا الشرقية معناها وفقد سكان هذه المناطق، كل في بلده، حق تأسيس المجتمع الرأسمالي في بلادهم، **فاصبحت نظرية الدفاع عن الوطن نظرية عتيقة وبالية**، لأن الوطن قد تم احتلاله من قبل الشركات العملاقة بل **فقد سيادته الاقتصادية لصالح هذه الشركات**، كما اصبحت المناداة بالديمقراطية والتعددية وسيلة معروفة للمستعمرين ومرتزقتهم المحليين لخدع شعوب العالم المظلومة.

وليست هذه حالة خاصة ببلد واحد بل انها ميزة لكل البلدان الفقيرة،

الامر الذي يؤكد على ان **توحيد جهود شعوب كل البلدان** في المعركة نحو التحرر واحد من اهم مستلزمات هذه المعركة.

٢ - تنظم الشركات العملاقة اعمالها على نطاق كل العالم عن طريق الحساب الدقيق للمعلومات والاحصائيات الهائلة ثم تنظيم نقل وتجهيز المواد الكافية من مناطق مختلفة لتشغيل عشرات الملايين من الايدي العاملة في محلات مختلفة من العالم. تلك التي تلائم عملية الانتاج، الواقعة في اماكن تبعد الوف الكيلومترات عن بعضها، حين يستطيع مركز منفرد، عادة في الغرب، في ادارة المراحل المختلفة للعمل، بما في ذلك صنع اعداد كبيرة من البضائع الجاهزة للاستعمال و توزيع هذه البضائع طبقاً لخطة معينة بين عشرات الملايين من المستهلكين، كما هو الحال، مثلاً، في توزيع البترول من الخليج، عبر روتردام في هولندة الى اوروبا وامريكا، عند ذلك تبلغ العولمة (اقصد الاستعمار) ذروتها عن طريق تقسيم العمل، لا في معمل واحد، بل بين شعوب العالم كلها وتصبح عملية الانتاج عملية اجتماعية عالمية "مشتركة" لعدد كبير من الاقوام والشعوب. **ففقدت القومية والوطنية والانتاج الوطني والدولة القومية**، كلها، اهميتها ومعانيها، بل فقدت الدولة في قطر من الاقطار المغلوبة على امرها حق الكلام للدفاع عن استقلالها او سيادتها الوطنية والا تعرض شعبها للعقوبات الحربية عن طريق القصف الجوي والمقاطعة الاقتصادية، كما حدث مع العراق ويوغسلافيا والصومال وپاناما.

ومن الجهة الاخرى اخذ العمال والمستخدمون في بلد من البلدان في العالم الثالث ينتقلون الى بلدان اخرى سعياً لكسب الرزق، كما حدث مع عشرة ملايين من عمال سيريلانكا وتركيا وپاكستان والفليپين ومصر الذين انتقلوا الى منطقة الخليج للعمل في الصناعات التي نشأت نتيجة لوجود النفط فيها. وبالعكس ترك اكثر من مليونين من العراقيين، مثلاً، بلدهم وانتشروا في القارات الخمسة تجنباً للحروب والاضطهاد، وكذلك بالطبع للحصول على رزقهم بطريقة اقل قسوة مما هي عليه في العراق. في الحقيقة قامت الحكومة العراقية بطرد مئات الالوف من الاكراد والشيعة الى ايران بغية التخلص منهم.

وكذا الحال مع العمال بل المثقفين المصريين ومع الشعوب الافريقية والآسيوية وشعوب شرق اوروپا. فهناك الآن ثلاثة ملايين من الاتراك في المانيا وحدها وان ربع الايدي العاملة في هولندة يتكون من الاجانب، بينما نزح ٣٠ مليون من سكان امريكا اللاتينية الى الولايات المتحدة. وفي تقرير لهيئة الامم المتحدة ،في بداية القرن الواحد والعشرين، ينص على وجود ١٣٥ مليون عامل في العالم يعملون خارج بلدهم وهناك ايضاً ٢٥ مليون آخرون يعيشون بصورة سرية خارج بلدهم.

اذن **فقد** "***الوطن الام***" **معناه** وتحول الى ارض صالحة لانتاج الخير للمستعمرين تقطنها شغيلة مختلف الشعوب والاقوام واكثرهم منكوبون. وبهذا الخصوص يقول الپروفسور الالماني اورليش بك، استاذ

العلوم الاجتماعية في جامعة ميونيخ في كتابه، ما العولمة:

«العولمة تعني انعدام الحدود في العمل اليومي ضمن الابعاد المختلفة للاقتصاد والاعلام والبيئة والخبرة الفنية والنزعات الثقافية العابرة للحدود والمجتمع الوطني.» (راجع القدس العربي، ١٩٩٩/١٢/٦).

ويقول ايضاً:

«فالاموال والتقنيات والبضائع والاعلام والسموم "تجتاز" الحدود الوطنية، وكأن هذه الحدود لا وجود لها، حتى الاشياء والاشخاص والافكار التي تود الحكومات (المحلية) ابقاءها خارج البلاد مثل «المخدرات» والمهاجرين غير الشرعيين ... تجد طريقها اليها».

ويستنتج:

«العولمة تعني: **انهيار وحدة الدولة الوطنية والمجتمع الوطني**، وتكوّن علاقات جديدة للقوة والمنافسة والصراعات والتداخلات بين الوحدات الدولية الوطنية من جهة، والممثلين عبر الحدود الوطنية والهويات والافكار الاجتماعية والاوضاع والقضايا من جهة اخرى.»

اذن: ان اهم مستلزم لكفاح الشعوب والاقوام المتشابكة والمختلطة هو توحيد جهودها ***ونبذ الخلافات القومية والدينية والطائفية بل تجنب*** **الاحزاب المبنية على اساس الدين او القومية او الطائفية او العرق بغية التخلص من التفرقة** ولتوحيد كافة القوميات والاديان للتحرر من الاستغلال والاضطهاد الامبريالي، وبغية **توجيه الضربة الموحدة ضد العدو**

الحقيقي لكل الشعوب والقوميات والاديان. فانتهى، عملياً، عصر الحركات القومية والخلافات الدينية والمذهبية، ذلك لأن **الاقوام والاديان اختلطت ببعضها وتحولت الى عمال عالميين** يتم استغلال الكل اينما كانوا. ومن المفيد هنا ان نتذكر لينين حين قال: «ان الرجعية وحدها تغمض عينها عن الاهمية التقدمية لهجرة الامم.» (راجع.٣

The Imperialist World System is the Cause of the "Modern Migration of People" Gegen die Stromung, Frankfurt, 1998)

٣ -ان المستعمرين وشركاتهم العملاقة غالباً ما يخلقون الخلافات القومية والدينية والعنصرية ويستغلونها بغية توطيد مصالحهم كما حدث في رواندة من خلافات بين قبيلتين فقيرتين، الهوتو والتوتسي، وذهب ضحيتها مليون انسان من الطرفين وانهزم مليون آخر الى كونغو، وكما يحدث الآن في السودان بين المسلمين والمسيحيين ولاكثر من عشرين سنة وكذلك في الهند بين المسلمين والهندوس وفي يوغسلاڤيا بين المسيحيين والمسلمين وهكذا.

فالحروب المستمرة في العالم، تلك التي يخلقها المستعمرون دفاعاً عن ارباح شركاتهم، نتجت عن نزوح الملايين من الناس من بلدهم الى بلد آخر، فهناك اكثر من ٥ ملايين لاجئ افغاني في ايران وباكستان والهند ووصل عدد كبير منهم الى اوروپا وروسيا والبلدان التي انفصلت عن الاتحاد السوڤياتي. في حين ترك اكثر من ثلاثة ملايين من سكان اوروپا الشرقية، وبالاخص من كوسوڤو والبوسنة والبانيا الى مختلف انحاء

اوروبا وتركيا.

افادت وكالة الانباء الفرنسية (راجع القدس العربي في ١٩٩٩/٩/١٦) بان المفوضية العليا للاجئين التابعة للامم المتحدة اكدت على: «ان هناك ٢٢ مليون لاجئ في العالم نتيجة للحروب منهم سبعة ملايين افريقي.» ونتيجة للحرب الاهلية في كونغو "الديمقراطية" «ترك ٧٠٠ الف لاجئ البلاد وتدفقوا الى ١٢ بلداً في وسط افريقيا وشرقها.»، هكذا اختلطت شعوب العالم مع بعضها.

٤ -لقد كانت الحركات القومية، كحركة جمال عبد الناصر، تلعب دوراً ايجابياً في الخمسينات من القرن العشرين في توحيد الشعوب لمحاربة الاستعمار. الا ان المستعمرين ادركوا هذا الخطر وقرروا تحويله لصالحهم، عن طريق بث التفرقة بين الشعوب والاقوام واستخدام عملاءهم من امثال صدام حسين ومصطفى البارزاني لهذا الغرض.

فمن الضروري ان نتذكر، مثلاً، كيف اقدم شاه ايران واسرائيل وامريكا على تسليح الحركة القومية الكردية، بقيادة مصطفى البارزاني وجلال الطالباني، وطبقة واسعة من الاقطاعيين الاكراد لدفعهم، باسم القومية الكردية، لشن الهجمات من الاراضي الايرانية ضد حكومة عبد الكريم قاسم بغية القضاء على قانون الاصلاح الزراعي من جهة ولاعادة النفوذ الامبريالي الى العراق. وقد استمر هؤلاء في حربهم حتى تمكنوا من اسقاط عبدالكريم قاسم بالانقلاب البعثي في ١٩٦٣/٢/٨.

وتدريجياً تمكن المستعمرون من تحويل الحركتين القوميتين العربية والكردية الى ادوات بايديهم لقهر الشعوب العربية والكردية. لقد نفذ المستعمرون طرقاً مشابهة مع مختلف الحركات القومية في انحاء اخرى من العالم. فالحركات القومية تغيرت طبيعتها، مثلما يتغير اى شئ آخر، وفقدت دورها التقدمي واصبحت معرقلة لتوحيد الشعوب.

٥ - ثم طور المستعمرون حملتهم ضد الشعوب عن طريق استخدام الخلافات الدينية. فمثلاً ساند شاه ايران تشكيل الاحزاب الاسلامية من عملاء الاستعمار المعروفين من امثال آية الله العظمى محسن الحكيم بحجة محاربة الشيوعية واصدار الفتاوى الضرورية لقتل الشيوعيين بحجة مكافحة الالحاد في العراق. هكذا استخدم المستعمرون الحركات الدينية كسلاح لقتل الشعوب وقهرها. فعلى الشعوب المظلومة ان تدرك ان تشكيل حزب باسم الاسلام في بلد كالعراق، مثلاً، يحث المسيحيين والصابئة واليزيديين على تكوين احزابهم الخاصة بهم بغية مجابهة الهجمة الاسلامية. ان الالحاح على كون العراق بلد عربي مسلم، مثلاً، يجلب استنكار الاكراد والتركمان والآثوريين والارمن والصابئة واليزيديين وغيرهم من القوميات والاديان ويخدش مشاعر العمال المهاجرين الى العراق من جنوب شرق آسيا ومن الهند كنتيجة طبيعية لعولمة الانتاج.

ان تصنيف المسلمين في الشرق الاوسط وكأنهم خير امة بين الامم يعطي العذر للصهاينة في اسرائيل اعتبار اليهود كالشعب «المختار».

وكذلك يعطي العذر للاكثرية المسيحية في يوغسلاڤيا وروسيا لاعتبار انفسهم ارقى من المسلمين ويعطي الحق للاكثرية الهندوسية في الهند والكاثوليكية في الفليپين على قتل الاقليات الاسلامية في هذه البلدان. فتكوين الاحزاب الاسلامية او الثرثرة بأن هناك امة اسلامية تمتد من المحيط الاطلسي وحتى اندنوسيا انما هي وسيلة لنشر التفرقة بين الشعوب وتشجيع لغير المسلمين على محاربة المسلمين في البلدان التي فيها اقلية مسلمة. ولهذا هناك الآن حروب اهلية ضد المسلمين في عدد هائل من البلدان من الجزائر وحتى اندنوسيا ، ومن المستحيل تحرير المسلمين او العرب او الاكراد دون تحرير الشعوب الاخرى. والشئ الجدير بالذكر هو ان الاحزاب القومية والدينية، كلها ، لعبت دوراً ايجابياً في تفريق الشعوب وخلق الحروب. فمن **مستلزمات كفاحنا ان لا نجعل الدين والقومية سلاحاً بيد الاستعمار للتفرقة ولقهر كل الاديان والاقوام.**

٦ – تمت الاشارة اعلاه الى قيام الشركات العملاقة بغلق معاملها في اوروپا وامريكا الشمالية بغية فتح الجديدة منها في بلدان العالم الثالث، حيث الايدي العاملة رخيصة، وهذا ادى الى زيادة البطالة بين عمال البلدان الرأسمالية نفسها مما اجبر العديد من عمالها على الانتقال الى العالم الثالث بحثاً عن عمل. فحين قررت شركات صناعة السيارات نقل مصانعها من ديترويت بامريكا الى البرازيل والمكسيك، مثلاً، انخفض عدد سكان هذه المدينة الى النصف، اذ انتقل عمال المدينة ايضاً الى

المعامل الجديدة وقبلوا بالعمل باجور واطئة وتحت الشروط القاسية المفروضة على العمال هناك. كما ان العمال الباقين في الوطن الام، في الغرب، اخذوا يقبلون الاجور الواطئة وساعات العمل الطويلة والعمل في نهاية الاسبوع او ليلاً وانتشر استخدام الاطفال بالرغم من كون القوانين السارية تمنع ذلك. كل هذا يؤكد على **ان الشركات العملاقة لا تميز بين السكان في اوروبا وامريكا وعمال العالم الثالث.** ثم هناك الآن اعداد هائلة من المهاجرين من العالم الثالث في البلدان الصناعية. فهناك في الولايات المتحدة وحدها ٣٠ مليون من اصل افريقي تم نقلهم اليها كعبيد ومازالوا يعيشون في حالة يرثى لها، وهناك ٣٠ مليون من النازحين من امريكا اللاتينية. فتوحيد هؤلاء العمال مع الشعوب المنكوبة في العالم الثالث يؤدي الى تكوين قوة جبارة للدفاع عن حقوق الجياع في كل مكان ضد الشركات الاستعمارية **وربط كفاح الشعوب المضطهدة في العالم الثالث بجهود الكادحين والعاطلين عن العمل في البلدان الاستعمارية نفسها** . علماً بان امكانية وقابلية المظلومين في هذه البلدان على توجيه الضربات المدمرة ضد العدو المستغل اكثر بكثير مما تستطيع شعوب العالم الثالث القيام به. من الضروري الادراك ان النصر الاكيد لا يتم تحقيقه دون تكوين حركة ثورية موحدة. ثم **ان تكوين هذه الحركة لا يتم الا حين يدرك الشغيلة في البلدان الاستعمارية بضرورة ابداء المساندة المباشرة والصحيحة للشعوب المنكوبة في العالم الثالث.**

فمن المستحيل القضاء على الظلم والجوع والحرمان ان لم تتحد كل الجهود في هذا السبيل.

لاشك ان القارئ يدرك معي صعوبة القيام بالمهمات المدونة اعلاه، خاصة لأن الانتكاسة تخيم على كل العالم. ولكن التطور الى الامام يحدث عن طريق القفزات، لا على وتيرة واحدة. فهذه الانتكاسة ستزول مثلما زالت الانتكاسات العميقة قبل الحرب العالمية الاولى او الثانية. انها ستزول حين تتطور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتصل مرحلة تحتم هذه الظروف الموضوعية على توحيد الجهود لقهر الانتكاسة والوثوب من الضرورة الى الحرية.هذا هو منطق الدياليكتيك !

انتهى

المصادر

1 - V, I. Lenin, Karl Marx, A Brief Biographical Sketch with an Exposition of Marxism, Foreign Languages Press, Peking, 1967

2 - Frederick Engels, Dialectics of Nature, Foreign Languages Publishing House, Moscow, 1954

٣ - كمال مجيد، العولمة والديمقراطية، Woodstock Publishing و دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٠م

4 - K.I.Majid, Non - Linear Structures, Butterworths, London, 1972.

5 - K.I.Majid, Optimum Design of Structures, Newnes - But terworths, London, 1974.

6 - Stephen W. Hawkings, A Brief History of Time, Bantan Press, 1988.

7 - Labour Monthly, November 1942.

8 - Zeri i Popullit, Tirrana, 1962 - Oct, 1963

٩ - يوسف سلمان يوسف (فهد)، مؤلفات الرفيق فهد، من وثائق الحزب الشيوعي العراقي، الطبعة الاولى ١٩٧٤.

10 - Joseph E. Davies, Mission to Moscow, Victor Gollancz, Ltd., London, 1942.

11 - History of the Communist Party of the Soviet Union, For eign Languages Publising House, Moscow.

12 - T. Gunawadhana, Khrushchevism, Colombo, 1963.

13 - Cathie Majid, Nikita Khruschev, His role in the Anti - Stalin Campaign and in the Distruction of Soccialism, Quacks, York, 1993.

14 - Collins Dictionary of People and Places, Book Club Association, London, 1975.

١٥ - الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوڤياتي الى الحزب الشيوعي الصيني في ١٩٦٣

16 - Apologists of Neo - Colonialism, Coment

the Open Letter of the Central Committee of the C,P.S.U. (IV), Remin Ribao and Honqi, Peking, 1963.

١٧ - عامر عبدالله، مقابلة مع مجلة الابواب، العدد ٢، منشورات دار الساقي، ١٩٩٤

١٨ - نجم محمود، المقايضة، برلين - بغداد، منشورات دار الغد، لندن، ١٩٩١.

١٩ - بهاءالدين نوري، صدى القاعدة، العدد ٤، ايلول، ١٩٨٩

٢٠ - اتحاد الشعب ١٩٥٩/٤/٢٨

٢١ - بهاءالدين نوري، صدى القاعدة، العدد ١، كانون الثاني ١٩٨٩

٢٢ - زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم، مركز الحرف العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٦.

٢٣ - عامر عبدالله، مجلة الابواب، العدد ٣، دار الساقي، لندن، ١٩٩٤

٢٤ - باقر ابراهيم، دراسات في الجبهة الوطنية، مقدمة الطبعة الثانية، الملف العراقي، العدد ١٠٤، لندن، آب ٢٠٠٠م.

25 - Adel Darwish and Gregory Alexander, Unholy Baby lon ,Victor Gollancz Ltd, London, 1991.

٢٦ - زكي خيري، صدى السنين في كتابات شيوعي عراقي مخضرم، ١٩٩٦/١/١، ستوكهولم المطبوع من قبل
Nyra. Tryck & Publikation H. B.

٢٧ - انتول سميرنوف، مجلة الوسط اللندنية، العدد ١٥، ١٩٩٢/٥/١١

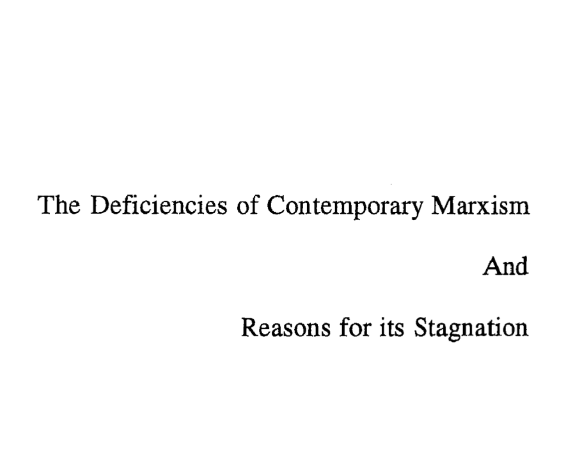
28 - M . Carver, War sincce 1945, Ashfield Press, London 1990

٢٩ -كمال مجيد، النفط والاكراد، دار الحكمة،لندن ١٩٩٧

30 - Gegen die Stromung, Frankfurt, 1998.

المحتويات





The Deficiencies of Contemporary Marxism

And

Reasons for its Stagnation

Published by
Woodstock Publising
Fat 2, Ground floor
20, Lindfield Gardens
London NW3 6PS
Telephone: London 0207 435 0195
ISBN 090300 05 8
&
Dar Al -Hikma
88 Chalton Street
London NW1 1HJ
Telephone: London 0207 383 4037
ISBN 1 898209 07 3

First Published 2000
British Library Catalooguing in Publicatin Data
Majid, Kamal
THE DEFICIENCIES OF CONTEMPORARY
MARXISM AND REASONS FOR ITS
STAGNATION In Arabic
1 Philosophy, Science, Revisionism
1Title
ISBN 090300 05 8
ISBN 1 898209 07 3

THE DEFICIENCIES OF CONTEMPORARY MARXISM AND REASONS FOR ITS STAGNATION

Kamal Majid

Emeritus Professor, University of Wales, Cardiff

Woodstock Publishing

&

DAR AL - HIKMA
Publishing & Distribution

London

THE DEFICIENCIES OF CONTEMPORARY MARXISM AND REASONS FOR ITS STAGNATION

Kamal Majid

Emeritus Professor, University of Wales, Cardiff

Woodstock Publishing

&

DAR AL-HIKMA

Publishing and Distribution

London